

# الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

....

تصدر مؤقتاً

في أول كل شهر ونصفه

العدد الثامن عشر . القاهرة في يوم الأحد ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ - أول أكتوبر سنة ١٩٣٣ ، السنة الأولى

## فرعونيون وعرب !

عفا الله عن كتابنا الصحفيين ! ما أقدرهم على أن يثيروا  
عاصفة من غير ربح ، ويبعثوا حرباً من غير جند ! !  
حلاً لبعضهم ذات يوم أن يكون بيننا يجادل في الدجاجة  
والبيضة أيهما أصل الأخرى ! فقال على هذا القياس :  
أفرعونيون نحن أم عرب ؟ أنقيم ثقافتنا على الفرعونية أم تقيمها  
على العربية ؟

نعم قالوا ذلك القول وجادلوا فيه جدال من أعطى أزمة  
النفوس وأعنة الاهواء يقول لها كوني فرعونية فتكون !  
أو كوني عربية فتكون ! ثم اشتهر بالرأي الفرعوني اثنان أو ثلاثة  
من رجال الجدل وساسة الكلام فبسطوه في المقالات ، وأبدوه  
بالمناظرات ، ورددوه في المحادثات ، حتى خال بنو الاعمام في  
العراق والشام أن الأمر جد ، وإن الفكرة عقيدة ، وإن ثلاثة من  
الكتاب أمة ، وأن مصر رأس البلاد العربية قد جعلت المآذن  
مسلات ، والمساجد معابد ، والكنايس هياكل ، والعلماء كهنة !  
مهلاً بني قومنا لا تعتدوا بشهوة الجدل على الحق ، ورويداً  
بني عمنا لا تسيثوا بقسوة الظن إلى القرابة ! إن الأصول  
والأنساب عرضة للزمن والطبيعة : تواشج بينها القرون ،  
وتفعل فيها الأجواء حتى يصبح تحليلها وتمييزها وراء العلم  
وفوق الطاقة . فإذا قلنا فلان عربي أو فرنسي أو تركي فأنما

## فهرس العدد

صفحة

- ٣ فرعونيون وعرب : احمد حسن الزيات
- ٥ عدل السماء : للأستاذ حسن جلال
- ٦ في الحريف : غفرى أبو السعود
- ٧ ثروة نصيب : للأستاذ احمد أمين
- ٨ العام الدراسي الجديد : ابراهيم مصطفى ناصف
- ٩ من الأستاذ توفيق الحكيم إلى الدكتور طه حسين
- ١٣ من غفرى بك البارودي إلى الأستاذ احمد أمين
- ١٤ البطل في صورة ملك : للمهندس الشاعر على محمود طه
- ١٥ مناظر من موقعة صفين : للأستاذ محمد فريد أبو حديد
- ١٧ دراسة في التصوف : محمود عزت موسى
- ١٩ حول الإشعاع النفسى : عبد الحليم محمد حموده
- ٢٠ لم لا تقول الشعر ؟ : للدكتور عبد الوهاب عزام
- ٢١ الحى دار ودوار : محمد محمود الجندى
- ٢٢ فلسفة تين : صبحى العجلى
- ٢٣ بلاط الشهداء : للأستاذ محمد عبد الله عنان
- ٢٧ منظر من رواية البخيلة : لشوقي بك
- ٢٨ جبل البروز : شوقي بك
- ٢٨ الذكرى : سلمى النحام
- ٢٨ قلب : لشاعر الشباب السورى أنور الططار
- ٢٩ أيتها النيل : محمد فريد عين شوكة
- ٢٩ الوداع الأخير : صالح جودت
- ٢٩ نصيدة لمحمد عاكف بك : ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام
- ٢٢ عبد الكهارب : للدكتور احمد زكى
- ٣٥ ابن فرعون يتعلم : للأديب حسين شوقي
- ٣٦ الطامع : يوسف جومر
- ٣٩ بلياس ومليزانة : بلوريس مازريك - ترجمة الدكتور حسن صادق
- ٤٠ محنة الروح : محمد على حماد

نعني بهذه النسبة انطباعه بالخصائص الثقافية والاجتماعية لهذا الشعب كاللغة والأدب والأخلاق والهوى والدين . فديع الزمان عربي وأصله فارسي ، وروسو فرنسي وأصله سويسري ، والأمير فلان تركي وأصله مصري . لأن كلا من هؤلاء الثلاثة أصبح جزءاً من شعبه . ينطق بلسانه ويفكر بعقله ويشعر بقلبه

فبأي شيء من هذا يتماهى إخواننا الجدليون وهم لو كشفوا في أنفسهم عن مصادر الفكر ومنابع الشعور ومواقع الإلهام لرأوا الروح العربية تشرق في قلوبهم ديناً ، وتسرى في دماهم أدباً ، وتجري على ألسنتهم لغة ، وتفيض في عواطفهم كرامة . لا نريد أن نحاجتهم بما قرره المحدثون من العلماء من أن المصرية الجاهلية نزع بعرق الى العربية الجاهلية ، فإن هذا الحجاج ينقطع فيه النفس ولا ينقطع به الجدل . . . وكفى بالواقع المشهود دليلاً وحجة . هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرناً وثلاثاً من التاريخ العربي ، نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سواجغ الظلال . . . وذلك هو ماضى مصر الحى الذى يصبح فى الدم ، ويشور فى الأعصاب ، ويدفع بالحاضر الى مستقبل ثابت الأس شامخ الذرى عزيز الدعائم أزهيقوا إن استطعتم هذه الروح ، وانحوا ولو بالفرض هذا الماضى ، ثم انظروا ماذا يبقى فى يد الزمان من مصر . هل يبقى غير أشلاء من بكايا السوط ، وأنضاء من ضحايا الجور . وأشباح طائفة ترتل كتاب الأموات ، وجباه ضارعة تسجد للصخور وتعبر للعجاوات ، وقبور ذهبية الأحشاء ابتلعت الدور حتى زحمت بانفاجها الأرض ، وفون خرافية شغلها الموت حتى أغفلت الدنيا وأنكرت الحياة ؟ وهل ذلك إلا الماضى الأبعد الذى تريدون أن يكون قاعدة لمصر الحديثة تصور بألوانه وتشدو بألحانه ونحيا أخيراً بروحه ؟ ولكن أين تحسون بالله هذه الروح ؟ إن أرواح الشعوب لا تنتقل الى الأعقاب إلا فى تاج العقول والقرائح ، فهل كشفتم بجانب الهياكل الموحشة والقبور الصم مكتبة واحدة تحدثكم عن فلسفة كفسفة اليونان ، وتشريع كتشريع الرومان وشعر كشعر العرب ؟ أم الحق أن مصر القديمة دفن قنيت روحه مع الآلهة ، وصحائف موت ذهب سرها مع الكهنة ، والجامد لا يبعث

حياة والجامد لا يلد حركة ؟

لا تستطيع مصر الاسلامية إلا أن تكون فصلاً من كتاب المجد العربى . لأنها لا تجد مدداً لحيويتها ، ولا سنداً لقوتها . ولا أساساً لثقافتها إلا فى رسالة العرب . أمّا أن يكون لأدبها طابعه ، ولقنها لونه ، فذلك قانون الطبيعة ولا شأن لمينا ولا ليعرب فيه : لأن الآداب والفنون ملاكها الخيال ، والخيال غذاؤه الحس ، والحس موضوعه البيئة ، والبيئة عمل من أعمال الطبيعة يختلف باختلافها فى كل قطر . فإذا لم يوفق الفنان بين عمله وعمل الطبيعة ، ويؤلف بين روحه وروح البيئة ، فاته (اللون المحلى) وهو شرط جوهرى لصديق الأسلوب وسلامة الصورة . وقد بما كان لون الأدب فى الحجاز غيره فى نجد ، وفى العراق غيره فى الشام . وفى مصر غيره فى الأندلس ، دون أن يسبق هذا التغير دعوة ولا أن يلحق به أثر ! انشروا ما ضمنت القبور من رفات الفراعين ، واستقظروا من الصخور الصلاب اخبار الهالكين ، وغالبوا البلى على مابقى فى يديه من اكفان الماضى الرميم ، ثم تحدثوا وأطيلوا الحديث عن ضخامة الآثار وعظمة النيل وجمال الوادى وحال الشعب ، ولكن اذكروا دائماً أن الروح التى تنفخونها فى مومياء فرعون هى روح عمرو ، وأن اللسان الذى تنشرون به مجد مصر هو لسان مضّر ، وأن القيثارة الذى توقعون عليه الحان النيل هو قيثارة امرئ القيس . وأن آثار العرب المعنوية التى لاتزال تعمر الصدور وتملأ السطور وتغذى العالم ، هى أدعى الى الفخر وأبقى على الدهر ، وأجدى على الناس ، من صفائح الذهب وجنادل الحجارة

إنما تفاضل الأمم بما قدمت للخلقة من خير ، وتفاوت الاعمال بما أجذت على الانسان من نفع . أليس (الخزان) خيراً من الكرتك ، والأزهر أفضل من الاهرام ، ودار الكتب أنفس من دار الآثار ؟

وبعد فإن ثقافتنا الحديثة إنما تقوم فى روحها على الاسلام والمسيحية ، وفى أدبها على الآداب العربية والغربية ، وفى علمها على القرائح الأوروبية الخالصة . أما ثقافة (البردى) فليس يربطها بمصر العربية رباط ، لا بالمسلمين ولا بالاقباط

محمد الزيات

## عدل السماء

للأستاذ حسن جلال

القاضي بالمحاكم الأهلية

الفرق بين عدل السماء وعدل الأرض هو بعينه فرق ما بين السماء والأرض . . .

فأما أهل الأرض فقد سلك كل منهم طريقا لتحقيق العدل في بلاده . فهذه دولة يحاكمها تطبيق قوانينها على الناس كما هو الحال في فرنسا وفي مصر . وتلك دولة أخرى تجري محاكمها على سنن الأحكام التي أصدرتها المحاكم من قبلها كما هو الحال في إنجلترا . وهؤلاء قوم لهم عادات ، مقرر وعرف موروث فتتعد بمجالسهم كلما دعا الحال لتحكيم تلك العادات وذلك العرف بين المتقاضين ، وهذا هو شأن العرب المقيمين في مناطق الحدود المصرية . وأولئك قوم غيرهم يلجأون إلى السحرة والكهان للفصل في قضاياهم كما هو الحال عند بعض قبائل إفريقيا الوسطى . . .

وكل هذه الليات إنما تجرى على النظام الذي اختارته ، لأنها تعتقد أنه أكفل الطرق للوصول إلى العدل . وليس من شك في أن كلا من هذه النظم له نقائصه . ولكنه على كل حال آخر ما وصلت إليه الهيئة التي اختارته في سبيل تحقيق العدالة بين أفرادها

والخلاصة أن الإنسان لم يصل بعد إلى درجة الكمال في تشريعه ، وأنه بحاجة إلى موائاة الجهود في سبيل بلوغ هذا الكمال .

\*\*\*

والسؤال الذي يحيش بالنفس بعد هذه المقدمة هو : هل يستفاد مما سبق أن الظلم يملأ هذا العالم . وأن العدالة فيه مستحيلة التحقيق ؟

الواقع غير ذلك ! بل إن المشاهد في معظم الأحوال أن العدالة محققة في هذه الدنيا . وأن الناس راضون عن طريقة توزيعها بينهم . ومهما يكن من أمر الحالات التي يدل ظاهرها أحيانا على أنها لم تتوفر فيها عناصر العدالة فإن (عدل السماء)

غلاب . وهو الذي يتولى في هذه الحالات إقامة الميزان بين الناس . وما ربك بظلام للعبيد !

\*\*\*

حدثني أحد زملاء المحامين قال :

وقعت جناية قتل في البلدة التي أعمل فيها ، وأتهم في تلك الجناية شاب من خيرة شبانها . ينتمي إلى أسرة من كبار الأسر فيها . فجاءني عمه يوكلني بالدفاع عنه . وأقسم لي أغلظ الإيمان أن ابن أخيه بري . وأن أهل القتل اتهموه لضغينة قديمة بينهم وبين أسرته ، وأن القاتل معروف في البلد . وأن أهل القتل هم أول من يعرفه . ولكنهم إمعانا في الانتقام يريدون أن يأخذوا في قتلهم رجلين . . واحدا يأخذهم القضاة بحكمه . وواحدا يقتصون منه بأنفسهم كما هي العادة عند معظم أهل الصعيد . ولما كان القاتل الحقيقي هينا عليهم فأنهم استبقوه لأنفسهم وتركوا أمر هذا الشاب للقضاة .

قال صاحبي : فلما وقفت على هذه المعلومات حفرت في الأمر إلى مضاعفة العناية بالقضية . فاطلعت على أوراقها بكل دقة ويقظة ، فوجدت أدلة الاتهام فيها قوية ناطقة . ورأيت جملة من شهود الإثبات تطابقت أقوالهم في محاضر التحقيق ، وقد عجز المحقق عن أن يحدث ثغرة فيهم تدل على تليفهم . إذ قرروا جميعاً أنهم رأوا المتهم وهو يطلق النار على القتل . وأنهم شاهدوه عقب ذلك وهو يفر . ووصفوا اتجاه سيره أدق وصف ، ونوقشوا في ألوان ملابسه وفي نوع سلاحه وفي غير ذلك من التفصيلات فكانت أقوالهم دائما واحدة لا تحريف فيها ولا تبديل !

أزاء ذلك استولى اليأس على صاحبنا المحامي ، ولم يبق له من القوة على الدفاع إلا قوة يقينه هو بأن المتهم بري . بناء على تأكيدات عمه . .

وحل موعد المحاكمة فتوجه إلى المحكمة . ونودي على القضية ، وسئل المتهم عن تهمته فأنكرها بكل شدة . وسمعت أقوال الشهود فإذا هي نفس أقوالهم في التحقيقات . وترافعت النيابة فقالت إن القضية لا تحتاج إلى نور جديد وأن أقوال الشهود قاطعة في الأدانة . ونهض الدفاع وحاول أن يشير

ما استطاع من الشكوك حول موقف المتهم، ولكن الحكم صدر في النهاية بمعاينة المتهم بالأشغال الشاقة المؤبدة...

\*\*\*

عاد المحامي في ذلك اليوم إلى مكتبه مكتئباً حزينا على ما حل بهذا الفتى النعس. ولقيه هناك عمه فألقاه على هذه الحال. فابتدعه المحامي بالسؤال عن كيفية اتفاق الشهود على كل تلك التفاصيل التي شهدوا بها إن مع ما يدعيه هو من أنهم ملفقون.

فقال له الرجل: إن الشهود قد شاهدوا القاتل الحقيقي فعلا وهو يرتكب جريمة. وانفقوا فيما بينهم لارتباطهم بأسرة القتل على أن يرووا كل ما شاهدوه ولكن منسوباً إلى المتهم الخالي بدل أن ينسبوه إلى فاعله الأصلي. ومن هنا جاءت أقوالهم كلها متطابقة، لأنهم إنما يقررون من الوقائع ما وقع فعلا تحت سمعهم وبصرهم!

\*\*\*

وهنا يقول صاحبي إن ثورة عنيفة أدركت نفسه ضدهؤلاء المزورين الذين تمكنوا من مخادعة القضاء إلى هذا الحد، والتوسل به إلى إزال العقاب الذي يشاءون على من يشاءون. ولكنه آنس شيئاً من استسلام غير عادي يغلب على نفس عم المتهم، بينما هو يعاني من ثورة النفس شدتها وغليناها. فلم يكن صاحبه ما يجول بخاطره. وهنا رفع عم الفتى رأسه وقال: الحق يا أستاذ إن الفتى يستحق العقاب الذي أنزله به القضاء فسأله المحامي في دهشة:

— وكيف يتفق ذلك مع ما قدرته الآن من أنه لا يد له في هذه الجريمة؟ فقال الرجل:

إنه وإن كان لا يد له حقيقة في هذه الجريمة إلا أنه في الواقع هو الذي قتل (فلانا) من أهل البلدة المجاورة لبلدتنا، ولكنه ظل امره مجهولاً من رجال الحفظ حتى هذه الساعة! فأن كان القضاء قد أدركه اليوم فأنا هو (عدل السماء) قد حققته قدرة الله الذي هو من وراء كل شيء محيط، وبما تخفى كل نفس عليم!

## في الخريف

كل شيء في الكون رآن وقرأ  
أسفر الجو وانجلى صفحة الآفة  
في ربوع يطول عمر شتاها  
نحمد الشمس يوم تطلع فيها  
رف فيها الخريف حسنا وطياً  
نفضت نومها الحياة وقامت  
أبرزت من جلالها وحلاها  
ذهبت تثر الجبال فلم تـ  
ثرتة بلا نظام فأرضى الـ  
أودعت سحرها هواء وحسبها  
يسرح الطرف حيث شاء فما يـ  
مزج حـ ورقـ وبها  
هو في العين ما أرق وأندأ  
ترتوى الروح منه نهلاً وعلاً  
كست الأرض خضرة وتغشت ربة ربة  
فزكا النبات في تلاح وقعا  
راق منه ما نهادى على الأرـ  
ودكا وسط الفضاء توارى  
ثم تبدو فتغير الكون إنا  
في سماء نقيه تأخذ العـ  
معرض التورسرت فيه الهويـ  
تتملى بدائع الكون أو تنـ  
عند نهر عذب التسلسل ماتا  
حفـ العشب كاسياً ضفتيه  
أرسل العين تجتلي الحسن صفوا  
فهي في مسرح الطبيعة جدتي  
ورفيقي في السير سفير بكفى  
من نهادى سفير الطبيعة ميسو  
أكثر - انجلترا  
نخري أبو السعود

## ثروة تضيع

للأستاذ أحمد أمين

هي ما خلفها لنا الجيل الماضي القريب ، وتسلبناها منه يداً بيد ، ولست أعنى ما خلفه من شعر ونثر وكتب في مختلف العلوم والآداب ، فهذه قد حفظناها ونشرنا بعضها وعيننا بها الى حد ما ، إنما أعنى ما صدر عنهم من قول وعمل ، وما كان يدور في مجالسهم من حديث ظريف أو نافع ، وما وقع لهم من أحداث ، وكيف تصرفوا فيها ، وأنماط مجالسهم وأحاديثهم ومجتمعاتهم ، ونحو ذلك مما يدلنا على حقيقة شخصيتهم ، ويفيدنا في تعرف مجتمعاتهم ، ويعين المؤرخ بعداً على رسم صورة صحيحة صادقة لحال المجتمع في ذلك العصر وقدر نابغيه كان لعل باشا مبارك « صالون » كبير في بيته بشارع المظفر يغشاه عظماء الرجال والشبان وطلبة المدارس . وكان يدور فيه كل ليلة من ألوان الحديث وشتى المقترحات ما ينبغي أن يسجل ، ومثل ذلك في منزل عبد الله باشا فكري ومحمد باشا قدرى ورفاعه بك وأمثالهم ، وكان نوع أحاديثهم ومباحثاتهم شيئاً ممتعاً يصور عصرهم خير تصوير ، ثم كان صالون كصالون الأميرة نازلى هانم « بعابدين » يختلف اليه قادة الفكر وعظماء الرجال في العصر القريب ، يتحدثون فيه عن الشرق والغرب ، وتثار فيه أفكار لها قيمتها وخطرها ، وكان نمطهم في أحاديثهم وتفكيرهم يخالف ما كان عليه رجال على باشا مبارك وأمثاله — وكان غير هذه الصالونات مجتمعات وأحاديث ونوادير وفكاهات في البيئات المختلفة من بيته فلسفية كبيته السيد جمال الدين ، أو دينية اجتماعية كبيته الشيخ محمد عبده ، أو فكاهية كبيته الشيخ حسن الآلاتى ، أو بيته المغنين أمثال الحامولى ومحمد عثمان ، وكان يجري في جميعها أقوال وأفعال هي أدل على الذوق المصرى والتفكير المصرى والخلق المصرى من كل ما خلفوا من مؤلفات ومجلات وصحف .

هذه الثروة التى لا تقدر — آخذة — مع الأسف الشديد — في الضياع ، وليس يدون منها — فيما أعلم — شئ يذكر ، وأكثر الذين عنوا بترجمة هؤلاء الرجال أساءوا اليهم وإلى التاريخ كل الاساءة ، إذ كانت ترجمتهم ترجمة رسمية ، اقتصرُوا فيها على

اسم المترجم له والمولد وتاريخ الولادة ، والمعاهد التى تعلم فيها والأعمال التى تولاها ، والكتب التى ألفها وغير ذلك مما يعد من الأعراض ، فأما الجوهر ، وأما شخصية الرجل ، وأما حياته الاجتماعية التى تدلنا على من هو من قومه ، ومن هو فى نفسه ، فلا يعرضون لها بشئ . وقد كان السابقون الأولون على تقدم عصورهم — أصبح نظراً ، وأحسن أداء ، وأوفى للتاريخ ، فين يدنى الآن جزء من كتاب الأغاني فتحته حيناً اتفق فوقه نظرى على ترجمة ابراهيم الموصلى ، فذكر نسبه ونشأته ، وذكر حكايات عدة حدثت له مع غلمانه وجواريه وأصحابه . وما وصل اليه من الأموال وما ورثه أهله ، وأحاديث عن مروءته ، وأحداثاً حدثت له مع الرشيد ويحيى بن خالد ، وكيفية تعليمه الغناء للجوارى ، واتصاله بالخلفاء وسيرته معهم ، وعدد الأدوار التى غناها ، وعشقه ومن عشق ، وأثر أصواته فى الناس ، الى آخره مما يستطيع الأديب أو المؤرخ أن يضع له صورة دقيقة تمثله ، ويضع لمجتمعه رسماً واضحاً يبينه — وبين يدى كذلك الجزء الأول من كتاب جامع التواريخ المسمى « نشوار المحاضرة » للتونسي ، يقول فى سبب تأليفه : أنه قد اجتمع قديماً مع مشايخ فضلاء ، علماء أدباء ، قد عرفوا أحاديث الملل ، وأخبار الملوك والدول ، وأحاديث البخلاء والظرفاء ، والعلماء والفلاسفة ، والأغنياء وقطاع الطريق والمتلصصين ، ( وعدد كل أصناف الناس ) ، وكانوا يوردون كل فن من تلك الفنون على حسب ما تقتضيه المحادثة ، وتبعته المفاوضة ، فلما تطاولت السنين ، ومات المشيخة الذين كانوا مادة هذا الفن ، ولم يبق من نظرائهم الا اليسير الذى إن مات ولم يحفظ عنه ما يحكيه ، مات بموته ما يرويه ، عمد من أجل ذلك الى تدوين هذه الأحاديث فى كتابه ، والتزم أن يذكر فيه فقط ما يدور فى المجالس مما لم يذكر فى كتاب — ويقرؤه القارىء ، فيجده يصور عصره ما أجمل تصوير ، وكتب الجاحظ لم تترك صغيرة ولا كبيرة من أخبار عصره وأحداثه الاجتماعية من الخصبان والغلبان ، والبخلاء والظرفاء ، والنبات والحيوان ، إلا أحصته وشرحته فى دقة واسهاب

ومالنا نذهب بعيداً والعصر الذى نسميه مظلماً أنتج مثل « الجبرتى » الذى دوّن من الأحداث وتاريخ الرجال فى عصره ما لم تفعله نحن لعصرنا

أما كتبنا نحن فقد عمدت الى خيرها وأخرجت منه ترجمة رفاعه بك ، فوجدته يسرد ولادته وتاريخها والمدارس التى دخلها

ورحلته الى أوروبا، والوظائف التي تولاهها بعد عودته، واسماء الكتب التي ألفها أو ترجمها، وسنة وفاته - ولكذك تتسأل بعد قراءتها: من رفاعه بك؟، ما معيشته الاجتماعية؟، ما شخصيته؟، ما علاقته بقومه؟، فلا تجد شيئاً من ذلك - هذا حال رفاعه بك الذي ملأ اسمه كل مكان، فما بالك بأمثال المنعمورين ظلياً، أمثال الشيخ حسن الطويل والشيخ حسين المرصني وأمثالهما

بل بالأمس القريب مات حافظ ابراهيم، وكانت حياته الاجتماعية أغنى ما تكون حياة، كل ليلة، ينشئ جمعا أو يغشى بيته جمع، فيملأ المجلس بأحاديثه العذبة، وفكاهاته الحلوة، وهي - في كثير منها - تفوق مادونه الأقدمون من ملح ونوادر - ولعلها إن جمعت ودونت أفادت تاريخ الادب وتاريخ الاجتماع أكثر مما يفيد ديوانه، ومع هذا لم ينشط أحد لتدوينها، ولم يلتفت لقيمتها، وسيعفى عليها الزمن الذي عني على ملح المويلحي والبابلي، وفي ذلك خسارة لا تقدر. ولقد حدثت بعض الادباء في ذلك ورجوته في هذا العمل، فاعتذر بأن أكثر النوادر إنما تحسن إذا أدبت باللغة العامية، وتفقد قيمتها إذا حكيت باللغة الفصحى، ولكن ما هذا الكبر على اللغة العامية، والسابقون من أعلام الأدب لم يكونوا يتخرجون من ذكر النادرة الحلوة باللغة العامية، إذا لم يحسن الاداء الا بها، كما فعل الجاحظ في البيان والتبيين، وابن زولاق في أخبار سيديويه، والابشيهي في المستطرف

ان في ذمتنا للجيل القادم عهدا أن نسلم إليه تاريخه كاملا متصل الحلقات كما تسلسناه، فإذا نحن لم نفعل فقد أضعنا الأمانة وخنا العهد - وفيما بحمد الله رجال شهدوا الجيل الماضي، وكان لهم من المنزلة ما استطاعوا معها أن يخالطوا البيئات المختلفة، ويطلعوا على خفاياها ودخائلها، ولهم من الذكاء وحسن النظر وصدق الرواية وقوة الحافظة وبلاغة اللسان والقلم، ما يمكنهم من الاداء على أحسن وجه، أمثال الهلباوي ولطفي السيد في نوع من الأوساط، والتجار والسكندري في نوع آخر، والسيد محمد البيلاوي وكبار علماء الازهر في أوساطهم، وهكذا - فهل يشاركوننا في الشعور بما لديهم من ثروة حافلة، وفي الشعور بما عليهم من تبعه، فيقدمون للجيل الحاضر والقادم

أتمن عمل تاريخي؟ فإن لم يفعلوا فهل للشبان أن يدركوا قيمة ما عندهم فينشطوا للاتصال بهم، وتدوين ما يأخذون عنهم، قبل أن تضيع الثروة. وتفلت الفرصة - أطال الله في أعمارهم؟

## العام الدراسي الجديد

بما أملاه علينا أساتذتنا في دروس التربية أنه كان الغرض من إنشاء المدارس في مصر إعداد الموظفين الذين تحتاج اليهم الحكومة في دواوينها

فإننا أنشئت وعلى هذا كان نهجها. ولقد نجحت مدارسنا في ذلك نجاحا مشكورا تخليت لها الحكومة الموظف الذي ترجوه. فأعدت المدارس للحكومة التليذ الذي يكون منه ذلك الموظف - تخليت الأولى في موظفيها أن يكون في عمله من غير بصر ولا سمع ولا إحساس - فجاءت الثانية إلى عين التليذ فقفاتها. وإلى أذنه فأصممتها. وإلى إحساسه فأماتته. حتى أنه ليسير في طريقه على أعين الناس وأفتدتهم، وبين أنينهم وعويلهم ثم تسأله: ماذا رأيت أو سمعت؟ فلا يكاد يذكر لك شيئا. ذلك لأن مدرسته أخذته بالانقطاع عن كل شيء مهمما صادفه. وهو يرجو أن يكون عندها محمودا

تخليت الأولى في موظفيها حينذاك أن يكون غمرا خاملا جباناً، يرى في رئيسه ماراه الجلاء في آلهتها. فجاءت الثانية بحولها وطولها تفرغ فيه كل هذه، إفراغا، مرة باسم الأخلاق وأخرى بالقهر والعسف. حتى تم لها ما أرادت - وأمتعت تلك الحكومات بهذا النوع من الموظفين

والآن وقد غصت الدواوين بالموظفين وقاض المتخرجون في المدارس. حتى أصبحوا عيالاً على ذويهم. وكلا على أهليهم إلا القليل منهم ممن اشتغل بعمل ما كان يخطر له على بال فهل آن لرجال التربية والتعليم أن يعلنوا انقضاء أجل ذلك الغرض. وينادوا بالغرض الصحيح الذي يقوّم الاخلاق والعقول والأجسام ليأخذ الأبناء قسطهم من الحياة كاملاً - ويؤدوا ما عليهم لبلادهم أحسن أداء؟ ذلك ما ننظره إرادات العقلية. ابراهيم مصطفى ناصف

## من الاستاذ توفيق الحكيم

الى الدكتور طه حسين

عزيزى الدكتور

قرأت الرد ، ومرة أخرى تأمل ما يمينك . هذه العصا عجيبة التركيب ، انك لاندس شيئاً حتى ينقلب إلى حق ، حق كبير ينبثق كل رأى ، ويلتف كل حجة . تلك عصا الأستاذية . ما كنت أجهل انك حاملها في هذا العصر . نحن متفقان . ولا خلاف بيننا في الغاية . وهو مطلبنا . هنالك تفاصيل أفرق فيها عن الدكتور ولن أعود إليها . فأنا أفرع من النظر إلى الوراء ، خشية أن أتجول إلى تمثال من الملح . أوحى إلى تمثال من الذهب . نفسى تصدف أحياناً عن الفكرة الجامدة مهما تكن خالدة ، ويحلولى أحياناً أن أثر الأفكار عابثاً من نافذة قطار . إن رسائلنا في حقيقتها لا تعنى أكثر من إثارة الغبار في أرض نائمة مفروشة بالحصى . لسا نصدر أحكاماً بهذه الكتب السريعة . إنما نحن نطرح مسائل ونلقى بفروض سوف يلتقطها ويجمعها الباحثون المنقطعون يوم تستيقظ الأجيال . اتفقنا إذن . أو ينبغي لنا أن نتفق على أى حال ، حتى نتصرف إلى شيء جديد . إن البحث عن الجديد هو الخلق عندى بالمجهود . ولقد فتح لنا اليوم باب الجديد الأستاذ أحمد أمين . قال لى ذات مساء أنه يضع كتاباً في أصول النقد ، ويود أن يولبنى شرف المشاركة في البحث من بعض وجوهه . النقد ؟ لفظ رن في أذنى . وذكرت للفران رسائل الأولى للدكتور كان موضوعها « الخلق » . وقلت في نفسى ما يمنع من اتمام الكلام في رسالة ثانية يكون موضوعها « النقد » وإذا الامر ينكشف لى عن قضية كبيرة : أئند النقد كالتلق غاضعاً لسلطان التيارات الفكرية الثلاثة التى ذكرها الدكتور : التيار المصرى القديم ، والتيار العربى ، والتيار الأوروبى ؟ أم ئند النقد كالعالم لا يخضع لمثل هذه المؤثرات ؟ أما أنا فلن أجيب من فورى عن هذا السؤال . فأنا أكتب ولا أدري أين يحط فى القلم . دعنى أولاً أنشئ . على هذا النغم بعض « تقاسيم » دون أن أعنى الآن بالغاية . إن الغاية أحياناً رخيصة بجانب الوسيلة على الأقل في نظر الفن . لأن الغاية فى الفن لا تبرر الوسيلة . الحياة كذلك ، تلك القطعة الفنية التى أبدعها الخالق ، أى شيء غير وسيلة متينة التكوين ؟ ألها

معنى فى غير ذلك الطريق المبين الذى أوله ضباب وآخره ضباب ؟ خطط هندسى رسم على لوح الوجود ، كيف ابتدا ، كيف انتهى ؟ لا يعنى ذلك علم الهندسة . إنه خط بين نقطتين وكفى . ليس لنا أن نسأل عن غاية الحياة ، ولا عن غاية الفن . ولا عن غاية العلم . إن الغاية لا تتم . إنما المعنى كله فى الوسيلة . الحياة هى الطريق . العلم هو الطريقة . الفن هو الأسلوب . أما الغاية فلا غاية . وهل يرتجى من العلم أو من الفن أو من الحياة غاية مطلقة يوماً من الأيام ؟ محال . مانحن إلا أسلوب الخالق . ما الكون إلا أسلوب . الأسلوب كل شيء . عند كل خالق وفى كل خلق . إن الخالق أعظم من أن يحبس إرادته الخالدة فى حدود ، غاية ، لفظ يدل بذاته على معنى الانتهاء . فى اعتقادى أن كلمة « غاية » هى من صنع العقل البشرى الصغير . هذا العقل المحدود الذى يضع كل شيء دائماً داخل حدود . ويأبى إلا أن يكون لكل شيء أول وآخر . إنما الخلود فى الأسلوب . لأن الأسلوب لا أول له ولا آخر ، فهو شيء كائن دائماً ، لا علاقة له بالزمن . إن رجل الفن ، وهو المقلد الأصغر للمبدع الأكبر ، يدرك أن الفن لا يعيش بالغاية . لأن الغاية فانية كاسمها . وإنما يعيش الفن بالأسلوب . لقد انقضت الغاية من تشييد الأهرام ، وفيت الغاية من بناء البارتيثون . دفن الموتى أو عبادة الآلهة الغابرين غاية قد ماتت وبقي أسلوب الفن وحده خالداً فى الأهرام والبارتيثون . خدمة الإنسانية غاية العلم فى نظر البسطاء . ولو سئل عالم فى ذلك لا يقسم : « مالى وللإنسانية إنما أنا أبحث عن سر أسلوب الصانع الأعظم . إنما هى لذة البحث وحدها . إنما هى طريقة البحث وأسلوبه . ولولا ذلك السرور الذى يملأ نفسى إذ ينكشف لى الباعثة عن جمال أسلوب الله لما تجشمت النصب فى سبيل العلم ، ولما كان للعلم هذا المعنى الرفيع . » المخترعات كذلك ليست غاية العلم . هى تطبيق للعلم . إنما العلم هو البحث الخالص المجرد عن كل غاية وعن كل استغلال . لقد كان الاغريق يبحثون ولا يطبقون . فيثاغورس مثل من أمثلة الأسلوب الخالده للعلم الخالص . الأسلوب إذن هو محور النقد كما هو عماد الخلق ، وكلية الأسلوب رجة عميقة كالبحر ، فى جوفها كل كنوز المعرفة التى يصور إليها البشر . ولعل كل ما أوتيه الإنسان من سليفة سامية منذ أول الأزمان ليس إلا انعكاس أسلوب الخالق فى نفس الإنسان . هذا المنطق الذى نشأنا عليه ، ورجع إليه فى كل حياتنا ، هذا الاحساس بالنتيجة والسبب ، هذا الشعور بالتناسق والتناسب ، هذا الإدراك للصلة التى تربط الشيء بالشيء ، من أين جاءنا هذا نحن البشر ؟ أهناك مصدر آخر غير أسلوب الخالق ؟ فتحت البشرية عينها فألفتة حولها .

فهو موجود قبلها ، وقبل الخليفة كما يوجد الرسم والتصميم قبل البناء . إن أسلوب المبدع في صنع الخليفة هو وحدة المنبع الأزل لهذه الصفات كلها : المنطق ، ارتباط السبب بالنتيجة ، والشئ بالشئ ، والجزء بالكل ، والتناسق والتناسب ، صفات هي بعينها صفات الأسلوب السليم لكل عمل في عظيم . أسلوب الله هو المعلم الأول والآخر . وما أول صورة رسمها الإنسان على الأحجار وعظام الحيوان سوى إعلان شعوره الخفى بتلك الصفات . إن رجل الفن الأول هو أول إنسان عرف « المنطق » صفة فنية بعد أن كان المنطق سليفة سامية تسبح في أنحاء نفسه ولا يعرف ماهي . إن المنطق الذي شيد الأهرام صورة محكمة لمع المنطق الذي شيد الكون . ما المنطق ؟ مامعنى المنطق ؟ سره في تلك المرأة العظيمة الصافية التي تحيط بنا كالجدران : الوجود ، أجل مثال للمنطق في الأسلوب ينبغي لرجل الفن والأدب والعلم أن يطيل فيه النظر . كل شئ في هذا الوجود مصنوع على طريقة واحدة وعلى قاعدة واحدة . ما القاعدة التي بني عليها الوجود ؟ هي القاعدة التي بنيت عليها الأهرام . هي قاعدة كل بناء : التماسك بين الأجزاء في كل واحد متسق . هذا التماسك ماعلته وكيف يكون ؟ قانون أستطيع أن أفرغه كما يفعل الرياضيون في صيغة بسيطة من لفظين : « الأخذ والعطاء » . كل شئ في هذا الوجود يحيا على نمط واحد . وكل حياة في هذا الوجود لها مظهر واحد : أخذ وعطاء في حركات متصلة متشابهة (١) : زفير وشهيق عند الإنسان والأحياء ، اكتساب واشعاع عند النجوم والأشياء . الأخذ والعطاء قانون التماسك والاتصال في حياة الفرد والمجتمع والأمة والأمم . وفي حياة الأخلاق والسياسة والاقتصاد . وفي حياة المادة والروح . وفي حياة الأرض والأجرام والسدم . ليس في الوجود شئ لا يأخذ ولا يعطي . وليس في الوجود شئ يعطي ولا يأخذ . كل شئ يعتمد على كل شئ في هذا الكون . بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا . وكل خلق بنيان . ولا بنيان بغير وحدة شاملة ، ولا وحدة شاملة بغير تضامن بين الحجر والحجر ، وبين الجزء والجزء . هذا التضامن وليد ذلك القانون : « الأخذ والعطاء » . ليس هذا كل المنطق في صنع الوجود ، إنما المنطق في تركيب ذلك القانون . ما قوام الأخذ والعطاء ؟ هل يكون أخذ وعطاء لإلبيين كائنات متشابهات ؟ ما الحال لو أن الخالق أبدع وجودا آخر على أسلوب آخر ، فصنع إناسا يعيشون بالزفير ولا يعرفون الشهيق . ومخلوقات تأكل ولا تصرف ، وأجراما تسكتسب الحرارة

(١) تعريف شخص للحياة . أدب الصيغة بالقياس إلى تعريف : « كلود برنارد ، العلمى الصيغة .

والضوء . ولا تشع ؟ أى اتصال يمكن أن يقوم بين كائنات خلقت على غير أسلوب واحد ؟ لا اتصال . وحيث لا اتصال لا بناء . لا خلق ولا بناء اذن في الكون أو في الفن بغير وحدة الأسلوب . كذلك في مادة الأجزاء . هل يقوم أخذ وعطاء بين أجسام لا تتحد في مواد البناء ؟ أى اتصال بيني وبين اخي وأبني لو أن الخالق صنعني من عناصر غير عناصرهما ، فجعلني من يابس ورطب وجعلهما من نور ونار وغاز وبخار ؟ أى ارتباط لو أنه جعل كل مخلوق منفردا بمادته وحيثته وعناصره عن كل مخلوق . أى هرم يمكن أن يشد بأحجار . أحدها من صخر ، وآخر من عجين . والثالث من ورق . والرابع من طين ؟ لا ارتباط بغير تشابه وتمائل . ولا تضامن بين أجزاء غير متجانسة في التركيب . إن كل ما نحس وجوده يتحد معنا في بعض العناصر . بغير هذا ما كنا نعرف له بوجود . إنا نعرف الأجرام لأن أجسامنا نعرف الحرارة والضوء والحديد . التشابه شرط الأخذ والعطاء . الاختلاف كذلك شرط آخر . وهل يقوم أخذ وعطاء إلا بين كائنات مختلفة ؟ ما الحال لو أن الخالق صنع كل شئ ككل شئ ، لجعل كل رجل ككل رجل ، وكل جرم ككل جرم ؟ طبع واحد ، ومنظر واحد ، وحجم واحد . أليس هذا التشابه المطلق ينفي الشخصية ؟ وحيث لا شخصية فلا أخذ ولا عطاء ؟ ولا تماسك ولا اتصال ؟ وهل من صلة بيني وبين غيري إلا لاختلاف شخصه عن شخصي وما عنده عما عندي ؟ وهل رابطة الأجرام إلا اختلافها في الأحجام ؟ الجاذبية ، الحب ، هل عليهما إلا اختلاف النسب في القوى والأشكال ؟ إن مثل هذا الكون المتماثل لا يمكن كذلك أن يشيد أو يوجد . مثله مثل قصة تمثيلية أشخاصها لهم عين الاسم والجسم والطبع والحظ ، يتكلمون عين الكلام ، ويتحركون عين الحركات ، ويتصرفون عين التصرفات ! أى علاقة يمكن أن تنشأ بين هذه المخلوقات ؟ وهل يشعر أحدهم بوجود الآخر ؟ وهل يدرك أحد منهم معنى كلمة « أنا » ؟ لا بد من بعض الاختلاف بين الكائنات حتى يتميز كل كائن من الآخر . ومتى تميزت الأشخاص والأشياء والأجزاء نشأ بينها الأخذ والعطاء ، سر التماسك في كل بناء . . . ها هنا اذن قوام التناسق : « التشابه لا كل التشابه ، والاختلاف لا كل الاختلاف » (ينتهون) الذي كشف لي منذ ست سنوات عن سر التأليف بين صوتين في عين الوقت . لاحظت أنه يجمع بين صوتين متشابهين لا كل التشابه مختلفين لا كل الاختلاف . وأدركت أن لا تناسق بغير هذا . فلو أنه جعل الصوتين متشابهين كل التشابه لفتى أحدهما في الآخر ، ومميزنا شيئا غير صوت واحد . ولو أنه جعلهما مختلفين

كل الاختلاف لاستحالة على الأذن أن تصل بينهما وهما متباعدان متنافران . فأساس « التناسق » في الموسيقى والفن كأساس التناسق في الحياة والكون : إئتلاف بين الأجزاء لا كل الإئتلاف ، واختلاف بينها لا كل الاختلاف . ملاحظة أخرى داخل القوسين : كلامي عن المصرية والعربية في رسالتي الأولى ليس إلا رغبة مني في فرز خصائص أمم هذا العالم العربي الذي أخشى انحلال آدابه . إنما الحب والتضامن في اختلاف ما عندنا عما عند أخواننا الجيران بعض الاختلاف . إن التشابه مضمون باللغة الواحدة والتراث الواحد . فليبحث كل منا عن شخصيته المميزة في ماضيه الطويل بأكمله . المصري في مصر القديمة وما بعدها من عصور ، والسوري في فيزيقا وما بعدها ، والمراقي في بابل وما بعدها وما قبلها من نواحي الخ . . . كل يـخرج من بطن الأرض التي يحيا عليها كل بحاسن طبيعتها وكل كنوز ماضيها . إن الفن ابن الأرض . الولد للفراش والفن للأرض . أني أقول بالمصرية والعراقية والسورية الخ الخ لا للانفصال بل للاتصال ، وللالتصّب ، بل للحب . أن اليوم الذي تزهوفه لكل منا شخصية قوية هو اليوم الذي يكثرفيه التعامل بيننا والارتباط . أمافاؤنا جميعا في شخصية العرب الغابرين فأمر لا يمكن أن يكون ، لأنه يخالف لطبيعة الأشياء . أن لكل أرض صفحات من التاريخ سابقة على عهد العرب . ماذا فعل بهذه الصفحات ؟ أتمزقها كما يصنع البرابرة المتوحشون أم نطالعها ونستخرج منها ما يفيد الإنسانية ؟ لا بد أن يكون لكل أرض لون . ولكل أرض اسم ورسم وجسم . ولقد كان الأمر كذلك حتى أيام دولة العرب . فكانت الشام غير العراق غير مصر غير الأندلس . والفن والشعر والأدب أظهر دليل على وجود الفروق الجلية ، وعلى صدق ذلك القانون : تشابه بين تلك الأنظار لا كل التشابه ، واختلاف بينها لا كل الاختلاف . فكيف يكون الأمر اليوم غير ذلك ؟ ونفضب اذ تكون هناك مصر وهناك شام وهناك عراق ؟ مثل ما كانت دولة العرب أمس . ينبغي للعالم العربي اليوم أن يكون : « وحدة شاملة وكتلة بنيان في شئون السياسة والدود والدفاع ، وشخصيات متنوعة الألوان في شئون الفن والخلق والابداع . »

جملة القول عندي أن أسلوب الله في صنع الكون هو وحده منبع الفن ، هو وحده مصدر ذلك الإدراك الأنساني للجمال منذ مبدأ الأجيال . أما نقاد القرن التاسع عشر فلا أحسبهم رفعوا أبصارهم إلى هذا الأسلوب مستلهمين ، إنما هم قد خروا أمام تمثال العلم ساجدين ، أنظارهم خاشعة ترنو في رجاء إلى شعاعين من الكبرياء صادريين من عدسات عينيه الجامدتين . القرن التاسع عشر

قرنت تأليه العلم . فلقد بهر العلم العالم بانتصارات حاسمات متواليات ، فأذا الأدب والفن والفلسفة كلها تهرع إليه تفر له بالغلبة والسلطان . وإذا كل شيء يطلب إلى العلم تفسيراً . وإذا العلم في نشوة الظاهر وبسة الواثق لا يأتى أن يقضى فيما بينه وفيما لا بينه . وإذا العلم وهو علم المادة يريد أن يتحدث في شئون الروح . وإذا سئل عن الروح قال هو نكهم هذا الطريق وأشار إلى عين الطرائق التي أدت إلى الفوز في شئون المادة : التحليل والتركيب والتجربة والقياس والاستنتاج والاستقراء الخ . بهت العالم لنظرية النشوء والارتقاء . وآمن الناس أن أصلنا من ماء وخلاباً حية وحيوان ظال يسمر في المرتبة على مدى الأزمان حتى بلغ الفرد جد الإنسان ! نظرية جميلة . خلط جبالها اللب على الرغم من بشاعة ذلك الجد الغول . أما صدقها فجائن من حيث المادة والأجسام . وهما تبدو قضية : أتصدق هذه النظرية على الروح أيضاً وشئون الروح ؟ الأحساس بالجمال : أتخضع أيضاً للنشوء والارتقاء ؟ نعم . نعم . نعم . كذلك قالت المدرسة الإنجليزية ( سبذر ، جرات ألن ، رسكن ) . وكان لابد لهذه العقول التي فتحتها نظرية التطور في المادة أن تبرز للناس نظرية التطور في الجمال (١) .

وعجب الناس لنظريات علم طبقات الأرض وعلم الحيران وعلم الحياة وأبحاث ( لا مارك ) في تأثير البيئة والمناخ وظروف الحياة على طبيعة الأجسام ، فقامت المدرسة الفرنسية ( هيوليت نين ) (٢) تخرج للتفكر والأدب نظرية للجمال والفن : الوحي فيها والالهام مقاييس الحرارة وموازن الأحجام ! بل أني لأرى أصبح العلم قبل ذلك بقرن يقسود المدرسة الألمانية إلى نظريتها في الجمال (٣) .

ولم يكف العلم هذا التوجيه والتأثير بل تارول يديه في هذا العهد الحديث جسم الجمال : وأعمل فيه المشرط والمسبار ( علم النفس الحديث ) (٤) قضى الأمر ، وخرج الجمال من حدائق الفلسفة إلى معامل العلم . . . !

لست أذكر على طرائق العلم . فهي وسائل بشرية التي لا تملك غيرها . وأذكر يوم كنت أرصد وقتاً للتفكير في هذه المسائل أني بسطت أمام نفسي هذا السؤال الساذج : الحيوان ما عليه بالجمال ؟ حصان بين مهرتين إحداها جميلة مليئة شهباء

(١) Grant Allen : L'évolution esthétique

(٢) H. Taine : Philosophie de l'art

(٣) Kant : La Critique du Jugemnt

(٤) G. Thoma : Traité de Psychologie

والأخرى قبيحة هزيلة عرجاء ، إلى أيتهما يميل ؟ ما ترددت يومئذ أن أقول في ثقة واقتناع : « إلى الجميلة يميل ، ما وجه الترجيح ؟ لست أدري ، وهذا التجربة فهي الحكم الفصل ! » . لكنني يومئذ كنت أفكر تفكيراً صرفاً في قوة صانحة أعتدت أن آوى إليها للتفكير الهادئ . فأين لي بالحسول والأفراس أجرى عليها التجارب ؟ فما أنذا أفر بأن التجربة وسيلة بشرية طبيعية للوصول إلى المعرفة . وأقر بأن شعرت يوماً بالحاجة إلى ممارستها في شئون الجمال . غير أنني على الرغم من هذا لا أحب أن أعتقد ببساطة أن نظريات العلم في شئون المادة تصدق دائماً في شئون الروح . لا شيء يستطيع أن يقنعني بأن احساس الجمال وليد تطور ونشوء . في رغبة أن أصبح بغير دليل في يدى أن إدراك الجمال ولد كاملاً في قلب الإنسان منذ رفع بصره وبصيرته إلى أسلوب الله فوعاه . انى أخشى أن تقع في الغلط إذ تطبق نظريات المادة في مسائل الروح ، وهل يستطيع الدكتور أن يجيز قول رسكن وجرائت أن في الألياذة : « ... ما كان يعنى الأقدمون بالطبيعة ولا بجمالها إلا حين يصلان بعيش الإنسان . ففى الألياذة ما كان يوصف منظر طبيعي لذاته ، بل لمنفعته للإنسان ، كأن يكون مكاناً خصياً يفيض بالحنطة أو تكثر فيه الجياد . ما كانت الطبيعة سوى إطار للحوادث والاشخاص ، لا إنها لذاتها محل للوصف . ان الطبيعة لم تحب لذاتها إلا في العصر الحديث ، حيث استيقظ الاحساس بها ، احساس صاف خالص لا تشوبه شائبة النفع أو المصلحة ... » . ماذا أقول في هذا الكلام ؟ أهو جعل بمشاعر الأقدمين ؟ أم تورط في تطبيق نظرية التطور والنشوء ؟ انصدق حقاً أن الشعور الرفيع بجمال الطبيعة لم يعرفه القدماء خالصاً لدنهم من الحيوانية ؟ انصدق أن « هوميروس » لم يحس جمال الطبيعة لذاتها ؟ أهذا رسكن يقول هذا الكلام ؟ أما أنا فقد مضى كلامي في الطبيعة والقدماء . ورأى الذى أبدته في رسالتي الأولى أن الأقدمين كانوا أقرب منا إلى الطبيعة وإلى فهمها . لقد كان الأقدمون يحسون أنهم جزء من الطبيعة ونعم من انغماسها . أما رسكن وألن أو الإنسان الحديث فلا يحس إلا ذاته الآدمية منفصلة عن الطبيعة وعن كل شيء . دليل فن القدماء من مصريين وأغريق . أهذا فن فرم لا يحسون الطبيعة لذاتها ولا يدركون قوانينها وأساليبها ؟ ! إلى هذا الحد يصل الانقياد إلى النظريات ؟ من أجل هذا لا أريد التمكن للعلم حتى يجلس على عرش النقد دون شريك . أحب طرائق العلم . لكنني أخشى نتائج العلم . فلترفع بالروح قليلاً . لست أريد أن أضع الروح تحت مبضع العلم ، رهبة منى أن يشقها فيجدها غلافاً أجرف . ولاني لا أنسى يوم شاهدت تشريح جثة آدمي

للدرة الأولى . أنى قلق يومئذ ، رزق إيمان بقيمة الإنسان اكلاً . انى كرجل من رجال الروح لا أريد أن أفجع في خير ما أعيش به وله . يريح نفسي دائماً أن أقول أن عقل العلم لا يكفي . ولا بد دون إدراك الخيال والروح من العودة إلى القلب . أريد ألا يخرجني العلم من ذلك الإيمان الذى كان يضىء في قلوب المصريين القدماء . إيمان قريبهم من الخالق . فإذا هم ببصائرهم العميقة العجيبة أول آدميين استطاعوا فهم أسلوب الله والنموذ إلى قوانين إبداعه . إن أقصى العلم الإيمان . أحب ذلك العلم المؤمن الشاعر الذى عرفه أيضاً الفلكيون العظام في القرنين السادس عشر والسابع عشر : كوبرنيك ، وجاليليه وكبلر ، آخر قطرة من ذلك العلم المعزج بالإيمان . كانوا ينظرون إلى الكواكب كما نظر إليها من قبل المصريون الأقدمون . لابعين العقل ، بل بعين القلب أيضاً . كانت السماء والنجوم في نظرهم مخلوقات حية . كانوا أيضاً يحسون في كتلة النجوم وفي هذا الكون بأكملة الروح الخالقة وبد المبدع الأعظم . ما أروع هذه العبارة من كبلر ، فيها تلخيص جميل لكل ما يملأ نفسي : « ... كل الخليقة ليست إلا سمفونية عجيبة في مجال الروح والأفكار كما هي في مجال الأجسام والأحياء . كل شيء متناكب مرتبط بمرى متبادلة لا تنقسم . كل شيء يكون كلا متاسقاً . ان الله قد خلقنا على صورته ، وأعطانا الاحساس بالتناسق . كل ما يوجد حتى متحرك ، لأن كل شيء متتابع متصل . كل كوكب وكل نجم إن هو إلا حيوان ذو نفس . أن روح النجوم هي سرحركتها ، وسبب ذلك الحب الذى يربط بعضها إلى بعض ، وتعليل ذلك النظام الذى تسير عليه الظواهر الطبيعية : » (١) أولئك رجال ساروا في يدها العقل دون أن ينسوا دليل القلب . أولئك هم العلماء العظام ! أرى الدكتور قد استشف رأى بعد هذا التحديد . نعم ولا أخشى أن أجيب الآن عن السؤال فأقول ان التيارات الثلاثة التى ذكرها الدكتور تصدق أيضاً في النقد . كما تصدق في الخلق . أما التيار الاورنى في النقد فهو المرتكز على العلم . ولقد وصل اليها هذا التيار بالفعل وتأثرنا به . وان بعض كتب النقد التى ظهرت في مصر الحديثة تنم عن هذا الاتجاه العلمى . وهو أمر لا بأس به ، بل هو واجب محتوم ، على شريطة أن تقرر به ونضيف إليه عناصر جديدة ووسائل أخرى مستخرجة من أرضنا وتراثنا إذا أردنا أن ننشئ لآدابنا طريقة شخصية كاملة في النقد . فأما التيار المصرى القديم فهو النقد المعتمد على الذوق ، أى سليقة المنطق والتناسق . وهو عند المصريين القدماء

(١) Kepler : Harmonices Mundi « 1619 »

سليقة المطلق الداخلي للأشياء والتناسق الباطن أى القانون الذى يربط الشيء بالشيء . أى جمال للأهرام غير ذلك التناسق الهندسى الخفى وتلك القواعد المستترة التى قامت عليها تلك الكتلة من الأحجار ، جمال عقلى داخلى . كذلك أسلوب الخالق لا يعنى بالجمال الظاهر وحده فى خلق الطبيعة . فأى جمال للثعبان والجمران ؟ أى الجمال الظاهر سى لا يقدره غير الإنسان . إنما المطلق الداخلى للأشياء هو كل جمالها الحقيقى . هذا المقياس المصرى القديم للجمال ما أحسه قد أثر بعد فى حياتنا الفكرية وفى أحكامنا الفنية . أما التيار العربى القديم فهو النقد الذى قوامه ذوق الحس . أى سابقة المطلق الظاهر والتناسق الخارجى . اجمال عند العرب هو الجمال الظاهر الذى يسر العين ويولد الأذن . أستطيع أن تخيل العرب تبنى الأهرام أو تقدر فيها جمالا ؟ لقد جاء العرب مصر وتحدثوا بجمال نيلها وأرضها وسماؤها ولم يروا فى الأهرام الاشياء التى يحوى نقوداً مخومة ، أما بناؤه ففى . لا يحسب فى الفن . إنما الحس عند العرب حسن الهيئة قل كل شيء . المساجد كالعرائس تكاد تخطر حسنا بزخارفها ، زينة للناظرين . بغير هذا فلا عمارة ولا فن . الشعر رنين لذيذ ، وخيال جميل ، ومعان لطيفة ، وألفاظ مختارة ظريفة ، بغير هذا فلا شعر ولا فن . الجمال عند العرب جمال إنسانى . والفن عندهم شيء صنعه الإنسان لنفسه وللذات . الفن العربى القديم فن إنسانى دنيوى . والفن المصرى القديم فن إلهى دنى . لهذا اختلفت المقاييس فى الجمال بين الفنين . أحدهما يعنى بالتناسق الذى يروق للإنسان ، والثانى يعنى بالتناسق الخفى بغير التفات إلى الإنسان . ولعل المقياس العربى القديم هو فى مصر المفرد حتى اليوم بالحكم فى قضايا الشعر والأدب . ولعل أقرب مثل إلى الذاكرة ذلك الحكم الذى أصدره الدكتور على بيت للاستاذ العقاد :

هى كأس من كؤوس الخالدين لم يشها المزج من ماء وطنين  
ألم يكن مقياس الدكتور فى التقدير ذلك السوق الحسى وذلك  
المطلق الخارجى الذى يربط الالفاظ ، فوجد اتصالاً غير متسقين  
الكؤوس والطين سمع له شيئاً كالطين يشوب صفاء الرين ؟  
هذا المقياس العربى ذو الابدرة الدقيقة عجيب فى تسجيل كل انحراف  
عن منطق الالفاظ . إنما هنالك فى اعتقادى منطق آخر مستتر أمره  
يعنى المقياس المصرى . ترى لو أن الدكتور رجع إليه أما كان  
يحكم بيت العقاد لا عليه ؟ أما كان يرى فيه تناسقاً داخلياً حكماً  
هو كل ما عني بأدائه الشاعر ؟

انى يوم قلت بمزج الروح بالمادة فى آدانا كان يحى على أيضاً أن  
أقول بوضع المقياس المصرى فى النقد بجانب المقياس العربى .

وبعد ، فإنى ولا ريب قد استأثرت منك ومن وقتك بمقدار  
لاحق لى فيه غير أن لولاك ما وصعت افكارى فى رسائل . إنما  
أما أكتب لك . أى ضمان أنت فى اشرق لحياة الفكر والبيان ، وهى  
أستطيع أن أسى ما كنت لى وما تكون ؟  
بنى أصع بين يدبك كل احلاص ؟

كوم حمادة فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٣ توفيق الحكيم

## من فخرى بك البارودى

عضو مجلس النواب بدمشق

الى الاستاذ احمد أمين

( والضحى والليل ) ( يا أحمد أمين )

أنت فى التاريخ ذخر الباحثين

أنت فى الآداب ركن ثابت

أنت فى ( الأخلاق ) نور المهتدين

أنت مهدت سبيلاً واضحاً

كان وعراً مرهقاً للسالكين

إن ما جئت به معجزة

ذكرتنا معجزات المرسلين

( فجزك ) الاسم أحيى أملاً

كأن يذوى فى صدور الناشئين

( وضحك ) الضاحك اليوم بدا

مثل بدر فى ليالى التهنين

قل لشادى وطه تمنا

نشر اجزائك للقارئين

أى وعد الخردى فألى الـ

وعد واشفوا غلة المرتقبين

نحن والاخوان فى الشام على

مثل حر الجمر فى المتطرين

## أخبار سيبويه المصرى

للحسن بن زولاق

أقدم مؤلف فى الأدب الإسلامى المصرى من القرن الرابع الهجرى  
يبيع بمكتبة الآداب امام عازن وزارة المعارف بدرب الجوامع ومنه خمسة قروش

## البطل في صورة ملك

للمهندس الشاعر علي محمود طه



تألق كالبرقة الحاطفه

وجلجل كالرعدة القاصفه

مبين من الحق في صوته

صدى البطش والرحمة الحاطفه

ينحوض العمار دماً أر لطي

ويركب للبارب العاصفه

يطير على صهوات السحاب

ويمشي على اللجة الراحفه

ويقتحم الموت في مازق

تري الأرض من هوله واحفه

تمزق في جانبيه الرياح

وتفطر السحب الواكفه

وتشتجر الرجم الهاويات

وتعشق الظلم الزاحفه

عشيّة لا القلب طوع النهي

ولا العقل تأمره العاطفه

ولكنها وثبات الحرى

على عثرات النى الحاطفه

شعوب تعالج أصفادها

وتأني الحياة بها راسمه

صحت بعد إغناء الحالمين

على لجة الزمن الجارفه

وحسبك بالدهر من منذر

كرب يعاقب من خالقه

رأيت السفينة في بحره

تسارعها اللوح القاذفه

مددت يديك فأرسيها

أماناً من العمرة الحاطفه

وخلعتك من (يعرب) أمة

إلى النور فازعة شاعفه

نصت (فيصلاً) من صقال السيوف

يقبل فيه الضحى شارفه

أعدت لها مجدها المجتبي

وبوأنها الذروة الشاطفه

بناء من السؤدد العربي

دعمت بتأله طارفه

جلت فيه (بغداد) عهد الرشيد

وأجبت لياليها السالفه

وأرسلتها بعد نسيانها

حديث النباهة والعارفه

فوا أسفا كيف روعتها

بفقدك في الليلة السادفه

صحت (برن) منك على نباء

تسيل البروق بها راعفه

رمى الغرب بالشرق إيماضها

فرد الشمس به كاسفه

## مناظر من موقعة صفين

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

( تمة )

وكان معاوية معروفا بالمعالة في التوسل بهذه المكائد في سبيل  
الامصار . فاذا اردنا أن نعرف سب نجاح مكيدة المصاحف فلا بد  
لنا من أن نعرض أن صفوف علي لم تكن حالة من عيون معاوية .  
وليس الدليل على ذلك بعيد المال . فقد ارتفع في اثناء القتال  
صوت عدد صوت يحاول احداث الفشل في صفوف المقاتلين . غير  
أن الظروف لم تكن قد انتهت لذلك بعد . فقد قام شيخ من شيوخ  
الارد في اثناء المعركة فجعل يرقى قبله وينعى من مات منها في  
سبيل نصرة علي وجعل يقول : « والله ما هي الا ايديا تقطعها  
بأيديا . وما هي الا اجنحتنا نجذبها بأسيافا . . . الخ » غير أن صيحه  
اصحلت في حاسة اخراجه وماتت في جلة المعركة . وكان رئيس  
ربيعة متبها بالميل الى معاوية . وقد حدث في اثناء القتال أن انهزم  
بعض الضعفاء من ربيعة مع ثبات أهل الرايات والشجعان . وقد  
انصرف ذلك الرئيس منهزما عند ما شهد فرار أول المنهزمين ، فلما  
رأى ثبات سائر اصحابه عاد واعتذر عن هربه قائلا إنه كان لا يريد  
الا إرجاع المنهزمين .

فلا بد لنا من أن نعرض وجود هذه التيارات الخفية التي كانت  
تعمل في جيش علي حتى تستقيم الصورة ونصبح ملائمة لطبيعة  
الأمور . وكان علي لا يحفل بالبحث عن مثل هذه الدسائس . بل  
لقد كان اذا عرفها ورأى عند صاحبها شبه البراءة لم يمد اليه  
يدا بسوء . وكان علي من الشجاعة والاسهانة بالموت في المحل المعروف ،  
وكانت شجاعته هذه تجعله يترفع عن أن يعبا بكشف هذه المكائد  
أو مقابلتها بمثلا . فقد كان رجل كفاح صريح .

على أن هذه التيارات الخفية لم تكن مألوفة إلى فشل علي من  
اضطراب الاهواء بين أصحابه . إذ قد كانت الاهواء تعصف  
بعض قلوب من معه ، وكان مسلكه الحر لا يكبح هذه الاهواء  
بل كان يكتفي بأن يشير الى المبدأ السامي الذي يسعى اليه ، ويخص  
الناس على التمسك به ، ويكلمهم بعد ذلك الى نفوسهم ومقدار ما فيها  
من الايمان والحرص على الحق . فكان بعض قواده يتناصرون فيما  
بينهم فلا يعبا بأن يلتفت الى تلك المنافسة ، بل يحاول أن يصرف  
حماسهم الى مقصدهم الاسمي . واما ضاربونها مثلا بصاحبين  
من اصحابه كان بينهم تنافس خفي أدى الى نتائج جليلة في وقعة

أناخ على سروات العراق  
فقصفت أفاها الوارفه

طوى فجرها بنبات المي  
وأسكت أوارها العارفة

ومصطبحين هوت كأشهم  
حظاما على الشفة الراشعه

أفاقوا على حلم رائع  
كان بهم فزع الآزفة

يردون بالشك صوت اليقين  
وتصدقه الأعيان الذارفه

وإني لأسمع ما يسمعون  
صدى الويل في صخب العاصفه

وكيف ؟ وقد كنت نجم الرجاء  
إذا قيل ليس لها كاشفه

وما عرفوا عنك قصر التمام  
يتبع الصحبة بازائفه

تحفك أئمة المالكين  
وتفسك عن زهوها صادفه

سرت (١) بالوداعة في بأسها  
سرى النشم في الليلة الصائفه

وتحمل عنهم من العبء ما  
تخبر الجبال له خاسفه

وتهزأ من صرعات الردى  
ونمسي على أمرهم عاكفه

إلى أن طرتها وأودت بها  
غوائل تطوى الدجى خاطفه

فراحت ترِف على كفها  
رفيف الندى في اليد القاطفه

وما هي إلا دموع الأسى  
همت من جراحاتها الازفه

وما نسيت (دجلة) أنها  
بشطينة حائمة طائفه

تباركهم من سماء الخلود  
وتدعو (لغازيهم) هاتفه

(١) الضمير في كل ما يأتي يعود الى النفس

صعين . ومعنى الأشعث بن قيس والاشتر الحمى وهو مالك بن الحرث

كان الأشعث بن قيس كما تقدم حاكما على ادرىجان في مدة خلافة عثمان فلما قتل عثمان ونزول علي لم يخرج عليه بل قى على عمله واحدا لبيعة له واما الاشتر فقد كان من اهل العراق وكان رئيسا له شهامة وفيه سرامة وقد حسب على حكام العراق في أيام عثمان وثار هم حتى كان يمههم من الاستقرار والحكم . ثم سار الى المدينة مع جماعته من أصحابه فكان من رؤساء الثوار الذين حاصروا عثمان بالمدينة ولما قتل عثمان كان هو متكلم القوم والساعي في اختيار الخليفة الجديد حتى اختير علي . فكان من أكبر قواده . وكان الاشتر من أصلب قواد علي عودا وأحصفهم رأيا ولعله كان من أكبرهم إخلاصا في رغبة الإصلاح العام والعدل في حكومة الدولة العربية

غير أنه كان صارما لا يقبل هراة . ولا يدارى في رأيه . وكان يأخذ على علي أنه قدم الاشعث بن قيس وجعله من قواده . لأنه كان من أكبر رؤوس الثوار على عثمان فلا يثق فيمن سقت لهم ولاية الحكم في أيام عثمان .

فلما كانت موقعة صفين تقدم الاشعث في يوم القتال على الماء فإلى أحسن البلاء حتى تصايح الجود بأن الاشعث هو صاحب الفخر في ذلك اليوم ، وكان المتطرب بعد ذلك ان نراه في طليعة القوم في كل المواطن . غير اما لا تكاد نسمع له بعد ذلك ذكرا في مدة القتال العظيم بين الجيشين وقد دام أكثر من عشرة أيام . في حين أنا نجد بطل القتال هو الاشتر مالك بن الحرث ، نراه في بين القتال وقله . وأنى سار نجد النصر والحماة

أكان هذا عمرا غير مقصود ؟ إذن فاسمع ذلك الامير الذي حدث بين الاشتر والاشعث لتعلم مقدار ما كان في أعماق نفسيهما من الحقد والكراهة . لما رفعت المصاحف وطلب معاوية الحكيم انقسم الرأي في جيش علي . ولسنا بسيل عرض هذا المطر واما بقصد أن نقول ان الاشعث بن قيس كان من أول القواد الذين رصوا ذاتيهم وايقاف الحرب . وسعى في ذلك سعيا كثيرا على حين كان الاشتر قد قرب بمجوده من قلب جيش معاوية حتى أصبح على وشك الوصول الى شخصه ، وحتى فكر معاوية في الانهزام والحرب ، وقد اضطر علي عندما رأى انقسام أصحابه ووشلهم الى ان يرسل الى الاشتر يأمره بايقاف القتال والانصراف عن العدو . وقد انى الاشتر وتردد ثم اضطر الى الطاعة وهو كاره ساحط ، فلما عاد الاشتر الى علي ورأى ما رأى من سعي الاشعث في تضييع النصر من يده ثارت حفيظته وكان بينه وبين الاشعث منظر عاصف . قال

الاشتر « اولستم قد رأيتم الظفر لولم تجمعوا على الجور ؟ » فقال الاشعث حاقا « انك والله مارأيت ظمرا ولا جورا » ثم تدارك الآم بعد ذلك وعلم أنه قد أسكر امرا عرفه الجميع . فحاطب الاشتر . وادما . قال « هلم اليها فانه لارعة بك عما » فقال الاشتر عاصبا « لي والله لرسة في عنك في الدنيا للدنيا والآخرة . واقد سمعت الله عز وجل يسفني هذا دماء رجال ما انت عدى حبر مهم ولا أحرم دما » فكثت الاشعث « وكانما قصع على الله الختم » غير انه استمر على سعيه في يقف القتال حتى تم الامر واعان للحد ، وكان الاشعث هو الذي سار في اعلانه . ثم أن الاشعث كانت له صولة اخرى عند كتابة صحيفة التي كتب فيها التعهد ، والتي ذكر فيها اسم الحكيمين ، وموقفه ذلك يدل على ما كان في قلبه من الحقد والحفيظة على علي والاشتر . اراد على ان يختار عبده ابن عباس ليكون الحكم المختار من بجانب علي ، فثار الاشعث ومعه جماعة فقالوا لا نرضى بغير أبي موسى الاشعري وهو رجل غير موال لعلي ، وليس من الذين نهضوا معه الى حرب معاوية . فراجعهم علي في ذلك وقال اذا لم ترضوا بابن عباس فاني اختار الاشتر . فثار الاشعث عند ذلك ثورة عظيمة وقال : « وهل سعر الارض غير الاشتر ؟ وهل نحن الا في حكم الاشتر ؟ » قال علي مراجعا : « وما حكمه ؟ » قال : « ان يضرب بعضا بعضا بالسيوف حتى يكون ما اردت وما اراد » لم تكن هذه لغة الاشعث يوم القتال على الماء . فما اشد ما حقد علي على والاشتر في أثناء الإقامة عند صفين . اليس الحرب جهد المستعيت ؟ وهل يستيت مثل الاشعث اذا كان قلبه مليئا بمثل ذلك الغيظ ؟

لاستطيع ان نقول ان الاشعث قد باع نفسه لمعاوية على احداث ما كان ، ولكننا لانستطيع الا أن نلح ما تولد في قلبه من الحقد والكراهة ، فاما حقه فعلى ذلك المتنافس الناجح وهو الاشتر ، واما الكراهة فكات للخليفة الذي لم يفتح له فرصة التصدر والرياسة بعد أن طمع في ذلك منذ يوم القتال على الماء .

لقد كانت صفين مسرحا لعوامل خفية واهواء قوية ولم تذهب هذه العوامل وتلك الاهواء سدى ، بل قد عصفت بحرب علي في اشد المرافف وأحر حها

محمد فريد أبو حديد

### تصحيح

نساء في مقال : « مطالعات في التصوف الاسلامي »

١ - في الحديث الشريف : إمامي ومثلي . . . والصواب مثل يحدف اعا

٢ - في الحديث الشريف : مثل ما بعثني الله به من الهدى . . .

وكانت مهم طائفة « احداث » والصواب « أجادب »

بديع عبد الرحمن

## دراسة في التصوف

الأصل في دراستي لهذا الموضوع ، هو الإعجاب المطلق ، ولقد أدى بي هذا الإعجاب - ومعته شوق روحي عامض الى اجتلاء بعض الحقائق السامية - إلى التعرغ لدراسة التصوف الإسلامي في كتب عدة لعصر أئمة الصوفيين وأحسن المدكر منهم الإمام أبا حامد الغرالي (١) والأطلاع على بعض الديانات الهدية وأهمها الديانة الوثنية التي يمثلها نبيهم كرشنا (٢) ، ولذهب كرشنا وتعاليمه - بوع خاص - أثر بارز في دراستي لأصول التصوف ، ويحصر مذهب كرشنا في أن الانسان ، يعزف عن الخير لمجرد الوهم والخداع في الدنيا وينصرف إلى الدنيا لأنه لا يعني كثيرا بحقيقة الآخرة ، وهو يدعو إلى محاسبة النفس ، والقيام بالواجب بدون هوى ذاتي ، وبجاهدة الروح ، والفناء في محبة الله ، وهو يشبه الجسم للروح كالثوب للجسم ، ومعنى هذا أنه يؤيد فكرة التسلسل . ويقول بأن الروح تنزع نفسها من الجسم المتداعي إذ لا يعود صالحا لها . لتنتقل إلى جسم جديد ، ومعنى هذا أن الروح خالدة . وهو يمزج أعمال الانسان إلى الروح ، ويرى أن قوة عليا هي التي تحرك الانسان . . . وتسيره ، أي أن كل ما يفعله الانسان مسوق إليه بقدرته الله ، وإرادته العالية ، ولذلك فإن الانسان يجب أن يؤدي واجبه دون أن يفكر فيما اذا كان هذا الواجب سي جلب إليه الخير أو الشر .

ولقد عمدت أيضا إلى دراسة الديانة السيخية (٣) وأود أن أذكر أن اهتمامي هذا كان مدته الأول إلى دراسة التصوف ، احساس روحي عميق ، في داخل نفسي ، كان يذهب حيا ، ثم يعود قويا

(١) هو الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغرالي ، الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري ولد بعمرس وهي بلدة من أعمال نيسابور عام ٥٠٠ هـ هجرية الموافق ١٠٦٨ ميلادية ومات يوم الاثنين ١٤ جمادى الثاني عام ٥٠٥ هـ هجرية الموافق شهر ديسمبر سنة ١١١١ ميلادية وكانت وفاته بطوس ودفن بظاهر الطارن وهي عاصمة طوس

(٢) ظهر كرشنا قبل المسيح بالنبي عام تقريبا ، وهو من موضع القداسة لدى الوثنيين من الهنود إذ يدعون بأنه إله تحولت فيه روح الخالق (سيحاه ونال)

(٣) نانك Nanak مؤسس الديانة السيخية (ولد بقرية تالندة المرمية باسم انكانا على شاطئ نهر في ) وهو متأثر في كاهه تعاليمه بمذهب الفقهاء الهنود التي كانت منتشرة في شمال الهند وقد ترجم الدكتور ترومب Dr. Trumpp كتاب السيخية ويقول الدكتور ترومب أن المصوبه داخلة على الاسلام من الهند (Hindu pantheism) وهو قول صديق الحق ، لأن الفارسيين أعرق في أثرهم كما يدر ذلك أشعار الفردوسي والنظامي وحافظ ، وما تحمله أشعارهم من المعاني الصوفية القديمة فليهم ، ومع ذلك فأنا لا أنكر تأثير الديانة السيخية في بعض أشعار الصوفيين من العرب

متجددا ، فلما تناوأت بعض المسائل الروحية بالدرس والتجربة واطلمت على آفاق جديدة في الثقافة الاسبوية ، وهي في جلتهاروحية أصيلة ألقيت نفسي مقودا إلى استكمال وسائل البحث والدرس . . . وقد يبدو مثل هذا الولع بدراسة المسائل المتعلقة بالروح ، شيئا ياحض معنى المدنية القائمة اليوم ، وهذا طح حاطي . فإن المدنية الحديثة التي تركز عظمها على الآلات ليست كل شيء ، في سبيل اسعاد الانسان كما يقول الفيلسوف الروسي ليون شستوف . وهذا الرجل يبدو مماوىء المدنية الحديثة لما فيها من الاندفاع المطلق نحو اجتهاد اللذات المادية ، حتى صار الانسان في بعض البيئات الصناعية أشبه بالآلة أو الحيوان تجرد من الصفات العليا . وشستوف يدعو إلى تنمية العواطف الانسانية الكريمة ، وتذكية الروح في سبيل الارتقاء بالانسان ، والحيلولة بينه وبين طغيان الشهوات الدنيا والمطامع الرضيعة حتى لا تنفس روحه وتخمذ المشاعر السامية في نفسه . والواقع ان هذه الدعوة ليست سوى ترديد لما يعتلج في صدور الكثيرين من شمواء طغيان المادة على الحياة ، وعادرا يحنون حيا قويا إلى العناية بالروح ، كما يعني بالجسم ؛ فإن الانسان ليكاد لفرط ما يحفه من مظاهر الترف والاعزاء يعبد الجسد عبادة وتيه

وحدث منذ عامين تقريبا أن اهتممت بالطريقة الروحية التي اتبعها غاندى في جهاده الوطني ، وهي التي يسميها السياسيون بالطريقة السلية ، أقول : إن اهتمامي بفلسفة غاندى جعلني أتجرد لمعرفة قوة الروح والأطلاع على ما يتصل بها وبالجسم . ومن هذه الأشياء التي سبقت ، بجمعة ، تكونت عندي فكرة قوية لمعالجة هذا الموضوع ، راجيا أن أكون قد وفقت فيه بعض التوفيق بقدر ما يتسنى ذلك في رسالة قصصيرة ، ولست أستطيع أن أدعى أنني بلغت فيه كل ما أرجو ، فإن هذا الادعاء لا قيمة له لنفسي ولا للقارئ ، فأنت متصل بهذه الحياة كالآخرين ، اتصالا ماديا ، هذا الاتصال الذي أشعر شمله كما رأيت الانسان كم يكذب ويخدع ، ويحتال ، ويافق . . . لكي يعيش . أو بمعنى آخر إن قوة المدنية ومادياتها قد طغت على ارواحنا طغيانا جارفا ، فأفسدت أكثر الراحي الانسانية فبا ، ونمت الروح الحيوانية في سائر أعمالنا ، أو كما يقول براردشو في كتابه الأخير : « محاطرات الفتاة السوداء » أصبح الانسان الحديث عبد الخمر والبندقية .

ولست في ذلك بالجاحد لقيمة المدنية ، فإن التطور الاجتماعي الذي نلسه في القرن العشرين كنتيجة لجهود العلماء المتصلة للخير

الإنسانية قد أفاد الإنسان في حياته فوائد جليلة ، ولكن الانتفاع شيء والاستمتاع شيء آخر . . . واطلاق الشهوات هو طريق الانحدار والانحطاط ، وأنا لرى أكثر عما ههنا ، فحصر قد شعروا جميعا على الرغم من اختلاف اتجاههم في البحث وحين ثقافتهم توحيد القوى الانسانية ، والعلب على الشهوات التي تثير في النفس التطلع إلى الفهر والادلال والاسمير . لاستعدادات والتعبد على الامم الصغيرة الواحدة كما يعمد الراسخ على العامل إلى التصوف رياضة نفسية عظمى ، ليس من شأن أن يروى الإنسان نصه عليها ، بل إن وضع المدينة لا يكثر جعلنا نرى في الصوفية المطلقة كل الخير ، وخاصة لمن سببه حبه أن يعيش فيها كمضو عامل منتج ، إنما يعني أكثر استعداد للصوف في هذا العصر بإفاد الروح كجوهر

وقد قسم العلامة توماس باتريك هيسور صاحب الموسوعة الإسلامية The Dictionary of Islam حدود الصوفية إلى ثلاثة أقسام أهمها :

إن الله في كل شيء ، وكل شيء مستند منه سبحانه ، وأن كل شيء مرئي أو غير مرئي خاضع لقدرته الله . وأن هالك مقاومة بين الروح والجسد بينها الموت . فبجانب الجسم ، أما الروح فتبقى . وأساس الاعتقاد عند الصوفيين في الخلود للروح . ولهذا فاهم يسلكون طريق التمسك والرياضة النفسية تزكية للنفس والخلق ، ونحوها للشياطين ونحوها في الدنيا ، واستعداداً للرحيل إلى الدار الباقية . حتى تصغر العقيدة ونفسي السيرة وتصفى من أكدار التكلف واللفاق . ومثل هذه السيرة تتطلب الخلوة والعزوف عن الاشياء البراقة ومجاهدة النفس وتصعيد الغرائز ، الارتفاع بالفكر إلى اسمى مكانة . وقد قال الإمام العراقي في ذلك :

« . . ثم دخلت الشام وأقيمت فيه قريبا من سنة لا شغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغلا لا بتركه نفس وتهديب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، كما كنت حصله من علم الصوفية ، وكنت أعتكف مدة بمسجد دمشق أصعد مارة المسجد وأعلق بابها على نفسي ، ثم تحرك في داعية فريضة الحج والاستمارة من بركات مكة والمدينة وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الحليل صلوات الله عليه وسلم ، ثم سرت إلى الحجاز ثم جذبتني الهمم ودعوات الأبطال إلى الوطن ، وعادته بعد أن كنت أبعد الخلق عن أن أرجع إليه »

وللتصوف مراحل لابد أن يجتازها الصوفي مرحلة وراء

مرحلة ، وليس من السهل اجتياز كل منها فأما تحتاج إلى جهد فائق ، وجهد كبير ، وقوة مدحرة ، وأهم تلك المراحل :

العودة والعشق والرهو والمعرفة والوحد والحقائق والكشف والوصول واللقاء فإذا اشترفت روح الصوفي ، ارتفعت به إلى حيث تكشف له السعادة المطامعة ، فيلمع مرتبة الماء المطلق للمعرفة ، ويتبين سر الحياة والموت ، والصوفي الذي يجتاز تلك المراحل هو السالك في إخلاصه وتعبه ، ولما يصل إليها صوف ، بل أنا لا يكاد يحصى إلا طائفة صغيرة من استطاعوا السور إلى هذه المراتبة أولئك الذين جلبت قلوبهم من شوائب وتخلصوا ونظفوا وأقاموا حاديا أمرهم ، من رعاتهم المادية وعانهم الروحانية

وهناك وسائل يسعون المتخذون في التصوف أهمها ثلاث الانحداب والمادة والعروج ، ومن يقرأ الشعر الصوفي يذهل لمرط ما يرى من الشعراء الصوفيين يصورون حالتهم النفسية تصويرا رائد . فهي شعرهم من الهيام بالوحد والعشق ما يكاد يحسه الفارسي لأول وهلة لشاعر أغرم اغراما افلاطونيا هائلة . والواقع أن أعز تلك المعاني لا يكاد يحمل عنه الاثنان في شيء ما . فبما نرى الصوفي يتجه محلصا نحو الله بالنوسل والدعاء والانتقال يرى الآخر بقدر الخيال في معناه الاسمي لاشك أن الصوفي المصروف عن الدنيا بكل ما فيها . المتجه إلى الآخرة اتجاهها تاما . إنما يبالغ في فكرته إلى حد الفناء في اعتناق الفكرة فإذا اردنا أن ندرس الصوف على أنه تزكية للروح وتقية له من الشوائب فإن هذا حسن ، ولكن من الخطأ أن تكون الإنسان سليبا بحتا ، فإن الحياة قوامها العمل ، والكتب السامرية كلها تبحث على العمل والمثابرة والاجتهاد في سبل العيش . بما نرى التصوف بمعناه الدقيق يدور إلى الرهد المطلق والامسار في جهة صفة للتعبد والتكشف ، وهذا في رأينا خلاص إلى حد الحشون بالفكرة والتشب لها ، بما لرى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وهو روح الحب والحنان والتسامح ، قد حمل مصاح الهدى ومشعل الحق وجاهد في سبيل الله بلسانه ويده ، حتى عمت دعوته ، ولقد كان النبي الكريم يشتمل بالتحارة ولكن ذلك لم يصره عن استخلاص نفسه والتوجه نحو الخالق بالعبادة والصلاة ، دون أن يعتكف في مكان صيق من الأرض

وأما انرى العلماء اليوم ، وخاصة من تشرعوا بالثقافة السلافية ، يدعون الناس محلصين إلى تطهير نفوسهم وعدم الالتماس في ملذات المدينة فزيمها جوهر الروح عن الفساد وخوفا على البشرية من الانزلاق في مهاوى الشهوات والترقب كما ذهبت في الماضي بعض المذنبات العريضة طعمة لجنون الشهوات والطمع والفساد الاجتماعي .

محمود عزت موسى

## حول الإشعاع النفسى

قرأت بأعجاب هذا المثال الممتع الذى دمج به بارع أستاذنا الكبير أحد أميين عن العوس وإشعاعاتها الغامضة المعقدة التى تشع منها وقد لا نستطيع التعبير عنها ، والتى تختلف باختلاف النفوس وتتعدد بتعدد نواحيها وطائفيها ، فلك على هذا البحث مشاعرى ألقى نى فى ذلك العالم الروحى الذى يقوم وراء هذا الحجاب الكثيف من المادة ، حتى خلقت نفسى أسبح فى عالم من الأرواح أو أن فى حجرى كما يقول الأستاذ : « ملايين وأكثر من الملايين من إشعاعات نفسية تشع من السماء ومن الأرض ومن العوس البشرية وما لا يعلمه إلا الله »

على أننى ما كدت أعود الى هذا العالم المادى وأقرأ المقال بعين الناقد المتدبر وأتحلل من هذا التأثير العميق بشخصية الأستاذ الكبير حتى أدركت السبب الحقيقى لهذا الأثر النفسانى الذى يمزوه الأستاذ الى أشعة تنبعث من النفوس والعقول « لا تقل جمالا عن » إشعاعات الحوم والكواكب « وتختلف فى القوة ، أشد من اختلاف المصابيح الكهربائية ، يقول الأستاذ « إن هذا الإشعاع هو السرفى ألك تلقى عظيما فيسلوك أثرا ويملوك قوة سيئة ، بتبرات صوته ، بطريقة تعبيره ، بظرائره ، بأشاراته ، بهز رأسه ، بحركة يديه ، فكان فى كل عمل من هذه الاعمال يوصل بينك وبينه تيارا كهربائيا قويا يهزك هزا عبقا ، قد لا يحدثك طويلا وقد لا يكون لكلامه فى الواقع قيمة ذاتية ، ولكنه يوقظ نفسك ويحيى روحك وتبقى رنات كلماته فى الأذن الأيام والليالى تعمل عملها فى هدوء حيناً وعنف حيناً — كلام بديع يستهوى القلب ويغلب العقل ولكك اذا عملت فيه الروية والعقل وماعدت بين نفسك وبين أسلوب الأستاذ الأخاذ وشخصية الجذابة أدركت غير ما يدرك ، ووقفت على سبب آخر لهذا الأثر النفسى الذى يسميه الأستاذ إشعاعا ونسبه نحن « شعورا بالعجز والضعف » ، وذلك أن الانسان لا يتأثر بعظمة عظيم ، ولا خطابة خطيب ، ولا حديث محدث ، إلا لسبب واحد لا ثانى له ، وهو شعوره بعجز نفسه وانحطاطها عن مستوى هذا العظيم ، وهذا الخطيب وهذا المحدث . قد يكون عاجزا أو ضعيفا ، وقد يكون قويا أو رفيعا ، ولكن شعوره بعجزه وضعفه هو على كل حال السبب الوحيد فى إكباره للعظيم وتقديسه للخطيب وأنصاته للمحدث وتأثره بغيرهم من الناس .

قد تكون درة عمر أهيى من سيف الحجاج لدى الناس ، ولكن السبب فى ذلك لا يرجع الى أن أشعة قد ابشت من نفس عمر فعمرت الناس بموجة من الحلال والعظمة . وأن أشعة من نفس الحجاج قد عمرت أجسام الناس بالخوف والرهبة ، ولكن السبب هو أن الناس كانوا يشعرون شىء من الاستكامة أمام بطش عمر وجبروته ، فاذا ما ذهبوا يحاولون الليل مه وتلس سيناته لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا ، لأنهم يجدون فيه الرجل المتمسك بالشرعية الذى لا تصدر أفعاله عن هوى ، وإزاء هذا الشعور بالعجز المضاعف أمام هذه الشخصية يحس الناس شىء من الخشية المشوبة بكثير من التعظيم والإحلال أما الحجاج فكان الناس يشعرون بكثير من الخوف والهلل أمام سيفه نتيجة لشعورهم بالعجز عن مجاراته فى أسباب طشه للسلطة المحولة له عليهم ، ولكنهم من جهة أخرى كانوا يستطيعون إحصاء ما كان يقترفه من السيئات والمنكرات ، وما كان يقدم عليه من الأجرام والظلم ، وهكذا كانوا يخافونه ويرهبوا جانبه لشعورهم بالعجز عن مقاومته ، ولكنهم كانوا فى الوقت نفسه يكرهونه ويشدد مقهمله لاعتقادهم بأنه متخلف عنهم فى الرحمة والعدل والإنسانية ، وبالخلة فإن عمر والحجاج لم تنبعث من نفسيهما أشعة تؤثر فى الناس ، ولكن الناس هم الذين خلقوا هذا التأثير بهذا الشعور السلبي الذى استولى على نفوسهم ، ولو أن حياتهم الاجتماعية والسياسية كانت تصفهم بغير هذه الصيغة ، ولو أن شعورا بالقوة والعظمة والرفعة استولى على نفوسهم لما ملأت نفوسهم عظمة عمر وجلاله ، ولما ضرت عليهم الدلة والمسكنة وانكششت قلوبهم خوفا ورعبا من الحجاج وسيفه وصوته .

قال الأستاذ : « وحدثنى من أثنى به أن الأستاذ جمال الدين الافغانى كان يرتطن بحجة ولم يكن فصيح اللسان ، ولا سلس القول ، ولكن تجلس فيشعلك نارا دونها فصاحة الفصيح وبلاغة البليغ ، لأنها النفس مستودع كهربائى قوى يصق أحيانا ، ويضئ أحيانا ، ويدفع للحركة أحيانا » . وهذا أيضا - يتضوى تحت لواء ما قلناه ، فقد كان المصريون فى أيام الأستاذ جمال الدين يعبدون عن هذه الحرية العسكرية الغريبة ، وإن كان بعضهم يطمح اليها ولا يجد فى هذا الجو المصرى الخاق الرجعى مسددا له على بلوغ مأربه ، فلما حط الأستاذ رحاله فى هذا البلد ، هرع اليه بعض من هذه الفئة العظشى ، ولشعورهم بالعجز فى مصار الفلسفة وما إليها عما كان يليقه عليهم الأستاذ جمال الدين ، ولموقفهم منه موقف الطلبة من أستاذهم كانوا يشعرون برهبة ورغبة فى بحسه ، وتبدو لأعينهم وقولهم هذه التعاليم الجديدة التى يتلقونها نارا تلهب النفس وتشعلها

## لم لا تقول الشعر (١) ؟

للدكتور عبد الوهاب عزام

كتب الـ أيها الأخ الكريم تسألني ( لماذا صمت بعد تعريد ، وصبت بعد فيض ، وسكنت بعد المرح ، واكتأبت بعد الفرح ؟ وما هذا الوجوم والاطراق بعد التهلل والاشراق ؟ أين قلبك الهدار ، وقلبك المكثار ؟ وأين شعرك الشاعر ، ونظمك الساحر ؟ ليت شعري ، وقد أمكنك القول ، لم لا تقول الشعر ؟ )

يا أخي بماذا أجيبك ؟ لقيت الحياة مبتسما ، ونشأت مترنما . أطالع تبشير الصباح مرحا كالأطياف ، مترنما مع الأشجار ، تروقي ألوان الأفق ، وتشدهني طلعة ذكاه في مواكب الضياء ، أراقب الاضواء ، في الصباح والامساء ، وأسائر الظلال ، بالغدو والآصال . وأخلو الى القمر أشرب ضيائه ، وأحس في نفسي صفاءه ، وأقول :

البر والبحر ذوبٌ من سنا قمر تردد الطرف فيه فهو حيران  
وأنا مل الأزهار في شعاعه ، وأقل الورد في لآلئه .  
وأسائر النيل أجرى مع مائه . واضطرب مع أمواجه ،  
وأقف على البحر فرحا بأذنه المحتاج ، معجبا بسلاسل الامواج ،  
أرقب العراك المتواصل ، بين الماء والساحل

وكم طربت لزقزة العصافير في نور الصباح ، وتنزّيتها على متون  
الرياح ، وضحكت لبكور الغراب ، سابحا في الضباب .  
وكم فتنتي الوجه الجميل والخلق النيل فقلت :

في كل حسن أرى سرا يجاذبني نفسي ، ومالي هذا السر عرفان  
أرى الجمال فتطبعه زجاجة العين على صفحة القلب فادا  
هو على لساني وقلبي . فانطلق قائلا معجبا . ومنشدا مطربا ،  
وكل شيء يبعث الأمل ، ويحدو الى العمل وكأن القضاء  
طوع الخيال ، وليس في الدنيا محال . وكأن الانسان يستطيع  
أن ينحت الجبال بقلبه ، وينزف البحر بفمه . والمستقبل  
وضاء ، وكل ما في العالم ضياء .

وتأجج في جوانبها حتى لتدفع بها الى الثورة ، ولو كان فيهم رجل  
يأنس من نفسه قوة تدفعه الى الوقوف مع الاستاذ مرفق الدلد ،  
لا الطالب أمام معلمه لتغيرت الحال وأحجم الاستاذ أحمد أمين عن  
أن يضرب هذا المثل للتدليل على وجود هذا الأشماع المسمى  
موضوع مقاله

وان اختلاف تأثير الخطيب باختلاف السامعين والمسمين باختلاف  
الظفارة ، ليس دليلا على ما نزعته من أن تأثير الأشخاص في  
بعضهم ليس مرجعه الى قوة نفسية تشع من نفس الى أخرى فتؤثر  
فيها تأثيرا قويا أو ضعيفا ، حسا أو سيئا ، ولكن هذا يرجع الى شعور  
النفس المؤثر فيها بتخلفها — بحكم طبيعتها أو العوامل المحيطة بها —  
عن النفس التي أثرت فيها في الخطابة أو الكتابة أو ما شاكل ذلك .  
من هذا كله نستطيع أن نقول اننا لا نتأثر بمعظم قهره ونرتعد  
من الخوف بين يديه ، أو خطيب فنصفقه ونحمله على الاعتناق ، أو  
محدث قهره فآذنا له ونعجب به ، الا لآنا قابلا للعظيم وفي قرارة  
نفوسنا من شعور بسموه عنا ، وسمعنا الخطيب ونحن نشعر بأننا  
عاجزون عن الوقوف مثل موقفه ، والتعبير بمثل تعبيره ، وأصتنا  
الى المحدث وقد غمرنا شعور بالقصور عن لباقة ، أو محاراته في  
حججه ، أو الاتيان بمثل حديثه الذي يحمل بين طياته من المذاهب  
الجديدة والعلوم الحديثة ما يجمل . وليس هذا الاثر مانجا من صدور  
أشعة من نفس العظيم أو الخطيب أو المحدث الى نفوس الناس .

وخلاصة القول اننا لا نقول بمحدث تأثير المؤثر من قوة إيجابية  
تبعث ، ولكنه يكون بشعور سلبي أو قوة سلبية يحس بها المؤثر  
فيه حتى ليتوهم أنها آية اليه من خارج نفسه ، والحقيقة أنها تصدر  
عن نفسه وتذبح منها .

الاسكندرية عبد الحليم محمد حموده

( الرسالة ) من أين يأتي شعور العجز والصعفة ، وقد تلقى الرجل لأول  
مرة فيثير قلبك شعور البطولة والاعجاب ، بل قد تراه أو تسمعه وقد  
سبقت الى أذنك أخبار وضعت من شأنه ، وحطت من قدره ، فما  
هو إلا أن تراه وتسمع له حتى يتغير رأيك ويختلف تقديرك . هل  
سمعت قول القائل : « تسمع بالمعدي خير من أن تراه » أو هل  
علت أن الناس لما رأوا الحجاج يصعد على المنبر أخذوا الحصى  
ليحصروه ، فما استهل خطبته حتى تساقط الحصى من أيديهم وهم  
لا يشعرون ؟ ما ذلك إلا الأشماع

## الحى داء ودواء

تحت هذا العنوان وفى العدد الرابع عشر من مجلة الرسالة العراء عقد العالم البعثة الدكتور الباقفة أحمد زكى وكيل كلية العلوم بالجامعة المصرية فصلا فيها وبحثا بمتعا . عن الحى وفوائدها ، قال فى مدائه « الحى من قديم الزمان عرص بحوف وطارق مرهوب وكثيرا ما كانت رسول الموت وقائد الحى تحدد ركه الى وادى الفاء . ولكن فى هذه الأيام القرية الماضية . نشأت فكرة أخذت تحل محلا ذا بال فى رموس البعث من الأطباء أو فى رموس القليل منهم الذين لا ترعهم غرامة الخاطر ، ولا يصرفهم عن الأمر خروجه عن المؤلف . وبحصول هذه الفكرة أن الحى ذلك العدو القديم للحياة ، قد تنقلب . أو يمكن تأليها وقلها الى صديق نصير ، فبدل أن تكون عوبا على الداء ، تصح عوننا على الشفاء ، فى بعض الأمراض التى عجز عنها الطب وحار فيها الأطباء »

ونحن نقول للدكتور الفاضل بكل تواضع واحترام أن هذه الفكرة التى انتهت اليها الباحثون والأطباء الغربيون اليوم . وقف عليها أطباء العرب من عشرات القرون الماضية ، حينما كان آباء هؤلاء العلماء يسكنون المغاور ، ويلجأون الى الكهوف . فقد جاء فى الصفحة الأولى بعد السبعين من كتاب « زاد المعاد فى هدى خير العباد » للإمام الحافظ أبى عبد الله بن تميم الجوزى « ما يأتى : « وقد ينفع الدن بالحى انتعا عظميا لا يبلعه النواء ، وكثيرا ما تكون الحى سببا لانضاج مواد غليظة لم تكن تضح بدونها وسببا لتفتح سدود لم تكن تصل اليها الأدوية المفتحة . وأما الرمد الحديث والمتقادم فالحى تبرى . أكثر أنواعه برءا عجيبا سريعا ، وتفع من العالج واللقوة والتشنج الإبتلاى وكثير من الأمراض الحادثة عن الفضول الغليظة ، وقال لى بعض فصلاء الأطباء أن كثير من الأمراض تستبشر فيها بالحى كما يستبشر المريض بالعافية ، فنكون الحى أنفع فيه من شرب الدواء بكثير ، فانها تضيع من الإخلاط والمواد العاسدة ما يضر بالبدن ، فإذا أنضجتها صادوها الدواء منبهة للخروج بنضاجها فأخرجها فكأت سببا للشفاء »

وفى تقدم دليل جديد يشهد بما يبلعه العرب فى الطب من المنزلة العالية والمكانة التى لاتدانى ، بإشهاد لحم بفضل السبق الى كثير من نظرياته الحديثة التى ينسبها علماء اليوم الى أنفسهم ذورا وبهتاناً ، والعرض كل الفضل للمتقدمين .

محمد محمود الجندى

طالب بالتجارة العليا بالقاهرة

والقود من سودان

ثم نفذ الفكر الى ما وراء الطاهر ، وتطلع الى ما وراء السرائر ، وجاوز القشر الى اللباب ، وخاض الضحضاح الى العباب . وكشف المجاز عن الحقيقة ، وطالع ضمائر الخليفة . فانهم العالم واسعجهم ، فإذا كل شىء مبهم ، فالفكر فيما وراء الحجب جائل ، وكل سر هائل هائل . الضوء هنالك ضباب ، والبصر حجاب .

فانحت الأشكال وخفيت الألوان ، وعيت الريشة فى يد الراسم ، وحار القلم فى بنان الشاعر ، وبُهِت المنطق دون البيان ، وجمد اللفظ على اللسان . ويبقى السر المحجَّب آيبا على كل مطلب ، أو يبصر من الحقيقة حاجب يعظم عن ضيق الالفاظ ويكرر على سلاسل القوافى والاوزان .

ورحم الله الشاعر سنائى اذ يقول : « رجعت عما قلت اذ ليس وراء الالفاظ معان ، وليس لما ندرك من المعانى ألفاظ .

أهم بالامر الصغير فإذا هو حلقة فى سلسلة ، وطريق الى كل معضلة ، وجزء من كل حقيقة هائلة .

وأحاول الأمواج فتفتح عن الاعماق ، فيضل الفكر وتزيغ الاحداق . وأعالج حمرة الشفق ، فإذا وراءها خبيئات الأفق ، وإذا الأفق صلة الأرض والسماء . وكيف بما فيهما من حقائق . وكيف بما استسر من أسرار الخالق ؟

وأهم بالكلام عن الحيوان فإذا أنا فى لجة الحياة ، وهى السر العجيب . وسطها فوق الأرض وطرفاها فى التراب .

وأريد أن أصف الذرة فإذا هى والشمس سواء . باهرة الحقيقة رائعة الضياء . أنظر الى الصغير فيكبر ، وأعمد الى الواضح فيستعجم

والأمل تكسرت أمواجه على صخور الحقائق ، وضل سراهب فى صحارى الحياة

يا أخى : ها أنا على ساحل المحيط الأعظم حائر الطرف بين اللجة والشاطئ ، مقسم الفكر بين الظاهر والباطن . ولست أدري أبقى صامتا مبهورا ، أو أهجم على الأهوال ، واغوص فى الأعماق ، ثم أين عن عرفانى وجهلى ، وإدراكى وعجزى ، أو أرجع الى العهد القديم أصف الألوان والأشكال والضياء والظلال . . . ؟

## تين «Taine»

منذ سنوات خلت ، نشرت الصحف خبر احتمال الفرنسيين في  
هو السربون ، بذكرى الفيلسوف الفرنسي الكبير « تين » وقد  
كان الاحتمال فتحاً للغاية ، يناسب مكانه الفيلسوف العظيم ، وقد  
رأسه المسو ادوار هربو وزير المعارف والفنون الجميلة ، وشرح  
بمحاضرته التي القاها منهج تين في النقد الادبي ، وفي العرض  
التاريخي . ويرى بعضهم ان مؤلفات تين خير ما أخرج التفكير  
الفرنسي في النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، ويرون أنه أبرع  
نقاد في ذلك القرن وقد كان تين فوق ذلك فنانا بارعا يعشق فن الموسيقى ،  
وأما نظرياته الفلسفية فاتها تميل على الاغلب الى الناحية المادية .

\*\*\*

العبقرية الحق هي التي تعمل ولا تشبع ، وتجود في الالم لذة ، وفي  
الموت من أجل العمل حياة ، ولا نحسب يوماً انها وجدت ما تشد  
وتصوب اليه ! كان تين لا يكل ولا يتعب ، بل كان يقوم في الليل  
ليستأنف عمله ، وكان « اسكوت » الكاتب الانجليزي الكبير  
مصنوعاً من العمل ، كما كان يقول ، وحسب « بتهوفن » انه لم يبرز  
ما يصبر اليه ، ومات « فولتير » وهو معتقد أنه لم يعمل عملاً واحداً  
يرضى فوه !

العبقرية الحق ، هي التي تخلق وتنشئ وتنتظر دائماً الى الممكن  
والى المستقبل ، هي باذرة بذور الخير والحب والطية والجمال في  
الوجود ، والطامحة دائماً الى الاحسن ، والآخذة بالاس من الظلمات  
الى النور ، ومن العبودية الى الحرية ، ويحلم العبقري بقدر ما تترك  
رسالته من أثر على وجه البسيطة ؛ فكلماً كانت رسالة العبقري  
انسانية كان الاعجاب بها شديداً والشاء عليها قويا .

ولد هيبوليت أدولف تين في ٢١ ابريل سنة ١٨٢٨ بفوزيه بمقاطعة  
الوارون في فرنسا ، وكان أبوه من أسرة قليلة المال قصيرة  
الباع . وكان لأبيه (جان باتيست تين) اتصال بالفضاء ، لذلك  
استطاع تين ان يتلقى عليه النظم والقوانين الى جانب دراساته بمدرسة  
(مسيو بيرس) الصغيرة . حتى بلغ الحادية عشرة من عمره ، وقدمه أبوه  
فأرسله في سنة ١٨٣٩ الى مدرسة دينية في « رنل » أقام بها ثمانية  
عشر شهراً ، وبعد وفاة أبيه سافر الى باريس فالتحق بمهد « مانيه »  
وكان طلاب هذا المعهد درسوا بكلية بوربون College Bourbon

وفيه ظهرت بوادر كفايته الباذرة .

لقد امتاز تين لأول دخوله المدرسة بمقدرة على العمل  
مدهشة ، ويحلمه متين لا يقل إثارة للدهشة . وكان كثير التحصيل ،  
كثير الخلق على ما يحصل ، كثير التفكير فيه ، مما جعل له على أصدقائه  
جميعاً نفوذاً معترفاً به ، اعترفهم بفضلهم ومقدرته على الكتابة نظماً  
وشرأ في اللغتين الفرنسية واللاتينية . وبعد انتهاء دراسته الثانوية انتقل  
الى مدرسة المعلمين L'ecole Normale وفيها قرأ أفلاطون ،  
وأرسطو . ودرس الانجليزية فبرع فيها وأتقن آدابها . وقد لاحظ  
عليه أساتذته مبالغته في الحرص على السلوك بالمطلق مسلماً رياضياً  
والوصول به دائماً الى قاعدة ثابتة على نحو ما يصل الرياضيون في  
مسائل الحساب والهندسة والجبر . وقد تنبأ له أساتذته مستقبل باهر ،  
وقالوا سيكون تين أستاذاً ممتازاً ، بل سيكون أكثر من ذلك ،  
وسيكون عالماً من الطراز الأول ، وسيكون شعاره شعار سينورا  
Spinoza « يعيش ليفكر » .

ومع ما عليه تين من رقة في الخلق عطية . ومن طباع غاية  
في الطية ، كان لذهنه قوة جبارة لاتلين لا يستطيع أن يكون لأحد  
على تفكيره أى تأثير . وجماع ما يقال عن « تين » أنه ذهنية جبارة  
منقطعة النظير !

كان تين أقوى أثراً في نشر الفلسفة الواقعية Poxitivism  
من صاحبها أغست كونت Auguste Comte نفسه ، ورغم  
تثنيه قواعده هذه الفلسفة الوضعية في ذهن أهل عصره  
والعصور التي خلقتها ، قد فتح لها ميادين جديدة في الفن وفي الأدب  
وفي الشعر ، وفي صور نشاط العقل الانساني ، وفي النفس الانسانية ،  
مما جعل للعلم الوضعي والفلسفة الوضعية من مائة الأركان ما لا يزال  
حتى اليوم وطيداً قوياً غاية القوة ، برغم موجات الروحية (والتيوزوفية)  
وغيرها مما سبق الحرب . وشجعت الحرب ، وبما لا يستطيع أن يقاوم -  
حتى في الميادين الفلسفية البحتة - تيار العلم الجارف ، الذي يدل  
الناس كل يوم على أن العلم إذا أخطأ في تقرير نتائج معينة ، فهو  
وحده قين باصلاح هذا الخطأ من طريق الاستقراء والملاحظة  
والتجارب ، وما يترتب على هذه من تبويب ينتهي الى استنباط  
القوانين العلمية الصحيحة التي يمكن أن تكون أساساً لأرتكار  
الفلسفة الواقعية الصحيحة فهذا الرجل الذي حاول ، ونجح في محاولته ،  
هدم الفلسفة الكلامية التي كان الاستاذ فيكتور كوزون Victor  
Cousin عيدها في عصره ، والذي حاول ونجح في أن يقر الى  
جانب التفكير الواقعي Positive ، المذهب الجبري déterminisme

وأن يطلق هذا المذهب على الإنسان ويخضعه له ، بمقدار ما تخضع له الافلاك والموجودات كلها — هذا الرجل كان صاحب أسلوب في الكتابة له من الهرم ما يحرك كما لو كنت تستمع الى الحان أركترا يتصرفن ! ولعل أبرع ما كتبه تين في الناحية الأدبية ، هو ما كتبه في الوصف والباحة ، ولقد بلغت براعة الوصف فيهما مبلغاً قل أن يجاريه فيه كاتب .

وليس فضل تين مقصوراً على فلسفته وأدبه فحسب ! فهو الى جانب ذلك مؤرخ من أكبر المؤرخين لم يقتصر على كتابة تاريخ بلاده ، بل تناول عصر ما قبل الثورة ، وتناول عصر الثورة والعصور التي بعدها ، وتناول بحوثاً أخرى في التاريخ القديم وفي التاريخ الحديث ، تناوله بدقة في العبارة ودقة في البحث ، وقوة في الأسلوب ، جعلت له كل هذه المكانة التي تسهم ثروتها في عصره ، وكل هذا المجد الذي يشهد له به اليوم حتى أنه خصوم نظرياته ، ورسائله في التاريخ وفي النقد جعلت منه نقادة معترفاً بتبوغه وبفضله ، وقد أقامت له مذهباً في النقد ينسب ومذهبه في الأدب ، وفي التاريخ ، وفي الفلسفة ، وفي كل ما تناوله من مباحث ؛ والذي يقرأ كتابه « الفلاسفة الانشائيون في القرن التاسع عشر » وكتبه « رسائل في النقد وفي التاريخ » يرى اتجاه مجهوده العقلي في السنوات الخمسة من حياته ، ويرى المجهود الهائل الذي تناوله به بحث اليونانيين القدماء بكتاب فرنسا وفلاسفتها وكتاب إنجلترا ومفكرها ، تناول ذلك في دقة وإساطة قل نظيرهما . يعرض امامك فكرة كل كاتب وفلسفته واسلوبه ويحلل ذلك ويرده للبيئة وللجنس اللذين نشأ الكاتب فيهما ، ويدلك على ما يراه النقاد ويراه هو في الكاتب وفكرته من قوة ومن ضعف ، ومن كمال ومن نقص . ومن دقة في بلوغ الغاية التي قصد اليها الكاتب ، أو اضطراب في نهج السيل الى تلك الغاية ، وهذه طريقته التي سار عليها في النقد ، وهي الطريقة العلمية الصريحة التي لا تعرف الميول ولا المماراة ، ولا تعرف مذاهب الشك والتردد ، والتي تفك من كل كاتب ومن كل موضوع على خلاصة الموضوع وعلى صورة واضحة من الكاتب على نحو ما رآه تين ؛ أول أستاذ « تين » أثر في تفكيره اعنى الآثار وهو « كوندياك » ، وتين لا يفهم كيف ينسب في فرنسا منهج كوندياك الذي هو « أحد المثل العليا للذهن البشري » ويستبدل بفتات الاقتباس والمزج ، ثم هو يأخذ على كوزين — Cousin وتلاميذه قبل كل شيء انحلال المنطق ، لأنهم يرون أنهم فلاسفة ، ولكنه يرى أنهم خطباء يعنون بالآثر الذي يحدثونه أكثر مما يعنون بالحقائق التي يبحثونها ! ثم يقول :

انه يجب العودة الى كوندياك وهو ذهن لا نظير له في الاستنارة والدقة ، وقد وهب كل المسائل العظيمة أجوبة ثارت عليها التقاليد الكلامية المبعوث ، ونظريات ماوراء الطبيعة الألمانية في فرنسا في بدء القرن التاسع عشر ايد أنها سوف تعود بالرغم من كل هذا ، ويعود « تين » بدوره قدوة في استئنافها والتمسك بها .

وكما ان تين كان تليذاً لكوندياك كان كذلك تليذاً لاسينوزا Spinoza وهيجل Hegel فقد شعر مثل « جيت » بسمو الفكرة الاسبينوزية ، ورأى أن مفكراً لا يستحق أن يسمى بالفيلسوف مالم تطبع نظريته الخاصة بطابعها . واسينوزا هو الذي أوحى إليه باعتبار الوجهين : الوجه الطبيعي ، والوجه الخلفي ، صورتين للحقيقة جوهرية واحدة ، وقال تين عن هيجل Hegel متحمساً : « ليس بين جميع الفلاسفة من سما الى ماسا إليه « هيجل » او من تدنو عقربته من ذلك الصرح الشامخ ! فهو مزيج من اسينوزا وارسطو » . وقد اتسع مدى عمل « تين » الفلسفي والتاريخي بالاستناد إليه .

يقول « تين » عن الفلسفة الانجليزية انها قد انتهت الى اعتبار الطبيعة اجتماعاً للوقائع ، اما الفلسفة الألمانية فترى فيها مجموعة من القوانين ، فاذا كان ثمة مكان بين الامتين فهو مكاننا نحن معشر الفرنسيين ! لقد وسعنا الآراء الانجليزية في القرن الثامن عشر ، واستطعنا في القرن التاسع عشر ان نضبط الآراء الألمانية ، ومهتنا الآن هي تهذيب الذهنين احدهما بالآخر ومزجهما في ذهن واحد ، وان نضوعهما في أسلوب يتذوقه العالم كله ، وان نخرج منهما بذلك الذهن العام .

ولقد عين تين مدرساً في وزارة المعارف بمدرسة « نير » في أول سنة ١٨٥١ الدراسية ، لكنهم يكث في هذه المدرسة الاشهورا نقل بعدها الى مدرسة دونها في الدرجة ، وذلك لاغراض سياسية . ومن ثم نقل الى « ابوانيه » ، ومنها نقل مساعد مدرس الى برانسون في سبتمبر ١٨٥٢ . وعلى رغم تقلاته الكثيرة ، قد وضع رسالة عن المشاعر Les Sensations ورسالة لاتينية تقدم بها الى السوربون لنيل جائزة الفلسفة ، ولما كانت هذه الجائزة قد النيت فقد اراد تين ان ينال اجازة الادب العليا Agregationes — lettres ولكن رساله لم تقبل ، فوضع رسالة عن لافونتين La Fontaine قال بها دكتوراه الآداب في ٣٠ مايو سنة ١٨٥٣ ، وعلى أثر حصوله على الدكتوراه اقترحت الاكاديمية الفرنسية موضوعاً لجائزة تمنح في سنة ١٨٥٥ على أحسن رسالة تكتب عن « نيت ليف » الكاتب والمؤرخ الروماني الكبير ، فعرض لها « تين » وكتبها ثم تقدم بها فكانت الأولى بين كل الرسائل التي قدمت !

وكان تين قد رشح نفسه سنة ١٨٦٢ لتدريس الادب في مدرسة الهندسة Polytechnique ولكن مسيودي لم يوافق انتخب بدلاً منه ، على ان وزير الحرية عيه في مارس من السنة التالية بمنحاً في التاريخ وفي اللغة الألمانية بمدرسة سان سير Saint-cyr الحرية . وفي سنة ١٨٦٤ عين مدرسا لتاريخ الفن والجمال في كلية العلوم الحيلة : فكانت تعاقبه في وظائف الدولة سبباً لاثارة الحنوف في نفس رجال الدين مما دفع المؤسسين دوماً لولا الى كتابة منشور وجهه الى الشبهة والى الآباء يظن فيه على تين Taine و Renan ولترية Leterrier وتدد فيه برعاتهم الالحادية مما كاد يززع مركز تين لو لا تدخل الرئيس ما تيلدا ربسط حمايتها عليه . وفي سنة ١٨٦٤ قدم بعض كتبه الى الاكاديمية ليحصل على جائزة بوردان . فاسرى له موسيير دوماً لولا من جديد ، واشترك معه آخرون ليحولوا يده وبين الجائزة . على أن المسيو جزو دافع عن تين بكل اخلاص واستمرت المناقشة أمام الاكاديمية فيمن يستحق الجائزة ثلاثة أيام متوالية ، استقر الرأي بعدها على أن الجائزة لا تمنح لأحد ما دامت لا تمنح لتين ! . . . على ان هذه الخصومات المتتامة وهذا التجنى على ذلك الكاتب الفيلسوف لم يحل دون حصوله على وسام اللجيون دونور -

Legion d'honneur في سنة ١٨٦٦ وعلى شهادة D.C.L. من جامعة أكسفورد بعد محاضرات القاها بها عن راسين Racine وكورني Corneille في سنة ١٨٧١ . وتزوج تين في سنة ١٨٦٨ فلم يغير زواجه شيئاً من حياة الجد والعمل التي كان يحياها ، على أنه منذ سنة ١٨٧٣ على أثر الحرب الفرنسية الألمانية قد حز في نفسه ألم هزيمة بلاده فأجهد نفسه أن يقف على أسباب ضعفها ، وكان هذا هو الدافع الذي دفعه الى وضع كتابه الاكبر ( أصول فرنسا الحديثة ) الذي عمل فيه منذ سنة ١٨٧٠ والذي اضطر من أجله أن يتخلى عن مهنة التدريس منذ سنة ١٨٨٤ ليقطع له انقطاعاً تاماً . وقد توفي في الخامس من شهر مارس سنة ١٨٩٣ وهو في الخامسة والستين من عمره وقد ألقى الاستاذ ليفي بريل المحاضر بالسوربون خطاباً في شرح نظريات تين الفلسفية

بماسبة الاحتمال المئوي لميلاد ( تين ) تترك الاستاذ نفسه بمحدثاته اذ يقول : لذكر اليوم القاب مجده وماسحى توغّه اولش كان علم النفس وعلم الاجتماع قد وصلا بهروعهما المختلفة في فرنسا الى ما وصلا اليه من القدم فان تين هو أحد الذين يرجع اليهم الفصل في ذلك ، وقد كان من الممكن ان يترك عمله ، ولكن الروح الذي بعثه مازال يضطرم الى اليوم ، وكان الطريق الذي سبه هو طريق الرشاد ، وان فضله ليدو اشد بهاء . اذا ذكرنا الوسط الفلسفي الذي تخرج منه ، ولكن تين غلبت عليه روح الفلسفة الحق فاعتزل اولئك المشيرين بأفقر ضروب الحكم ، وبحث عن الحقيقة دون أن يعنى بأدى . بد . بما اذا كانت ستتفق وهذه العقيدة أولئك ، أو هذا الحزب أو ذاك . وبذا وصل تين بين التقاليد الفلسفية للقرن الثامن عشر ، وهي التقاليد التي اعتقد الجيل الذي قبله انها قطعت نهائياً . وهكذا كان مستحقاً لا عجب كل مفكر حر في عصرنا ، فلحمده لأنه جاهد من أجل مثل أعلى للعالم والفلسفة النزوية . ولعل هذا خير مديح كانت تأثر به عزته . ولقد أبى أعز أصدقائه وأميل بوتمي ، الذي ساعده على تأسيس المدرسة الحرة للعلوم السياسية والذي كان امياً لاعمق اسراره ، ان يكتب على قبره سوى هذه العبارة البسيطة : « أحب الحقيقة قبل كل شيء » .

حلب صبحي العجيلي

## مدارس المراسلات المصرية

### بكالوريا . كفاءة . ابتدائية . لغات

المناهج على أحدث نظم وزارة المعارف المصرية والجامعات الأوربية والأمريكية . رسوم في غاية المهادنة وتأتج باهرة . كل تلميذ في منزله فصل بذاته ومدرسته لتحل كلها له وحده . اطلب كتاب ( طريق النجاح ) و ( كيف تكون كاتباً ) . يرسلان بدون أى مقابل . فقط ١٠ مليات طوابع بوستة تكاليف البريد . قسيمة مجاوبة في الخارج . اكتب باسم .

محمد فايق الجوهري

مدير مدارس المراسلات المصرية ١١ شارع سنجر السروري بالقاهرة

تليفون رقم ٥٠٣٥٩

صحافة . تأليف الروايات . رسم

## ٧ - بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتي عام

للأسناد محمد عبد الله عنان

(تابع)

قال ابن عبد الحكم وهو من أئمة رواة الفتوح الإسلامية وأقرب من كتب عن فتوح الاندلس ما يأتي .

« وكان عبيدة ( بريد والى افرقية ) قد ولي عبد الرحمن بن عبد الله المعكي على الاندلس وكان رجلاً صالحاً فقرا عبد الرحمن افرنجيه وهم اقاصى عدو الاندلس فغنم غنائم كثيرة وطهر بهم . ثم حرج اليهم غازيا فاستشهد وعامة اصحابه ، وكان قتله فيما حدثنا يحيى عن أبيه في سنة خمسة عشر ومائة هـ . ولم يذكر الواقدي والبلاذري والطبري وهم أيضا من أئمة رواة الفتوح شيئا عن الموقعة وقال ابن الاثير في حوادث سنة ثلاثة عشر ومائة مرددا لرواية ابن عبد الحكم - « ثم إن عبيدة استعمل على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله فتزا افرنجيه وتوغل في أرضهم وغنم غنائم كثيرة . ثم خرج غازيا ببلاد الفرنج في هذه السنة ( اعني ١١٢ هـ ) وقتل سنة اربع عشرة ومائة وهو الصحيح ، فقتل هو ومن معه شهداء ٠٢٠ وينسب ابن خلدون الموقعة خطأ لابن الحبباب والى مصر وافرقيه يقول : « وقدم بعده ( أى بعد الهيثم ) محمد بن عبد الله بن الحبباب صاحب افرقية فدخلها ( أى الاندلس ) سنة ثلاث عشرة وغزا افرنجيه وكانت لهم فيهم وقائع وأصيب عسكره في رمضان سنة اربع عشرة ، فولى سنتين هـ ٢٠٠ ولديا من الرواية الاندلسية ما قاله صاحب « أخبار مجموعة » عد ذكر ولاية الاندلس وهو - « ثم ( أى وليها ) عبد الرحمن بن عبد الله العافقي وعلى يده استشهد اهل البلاط الشهداء ، واستشهد معهم واليهم عبد الرحمن هـ ٢٠٠ . ونقل الضبي في ترجمة عبد الرحمن ما ذكره ابن عبد الحكم عن الموقعة ٠٥٠ . وقال ابن عذارى المراكشي « ثم ولي الاندلس عبد عبد الرحمن بن عبد الله العافقي فعرا الروم واستشهد مع جماعة من

(١) فتوح مصر وأخبارها ص ٢١٦ و ٢١٧ (٢) ابن الاثير - ج ٥ ص ٦٤

(٣) ابن خلدون - ص ١١٩ - ونسب الموقعة لمحمد بن الحبباب خطأ لابن

ابن الحبباب كان عامل مصر ولم يتدب لولايتة افرقية سوى سنة ست عشر ومائة .

ولم يزل هو أو وليه الاندلس مط ( راجع ابن عبد الحكم ص ٢١٧ )

(٤) أخبار مجموعة في فتح الاندلس ( مدريد سنة ١٨٦٧ ) - ص ٢٥

(٥) نية المتكس ( مدريد سنة ١٨٠٢ ) رقم ١٠٢١

عسكره سنة ١١٥ بموضع يعرف ببلاط الشهداء هـ ١٠٠ وقال في موضع آخر ، ثم ولي الاندلس عبد الرحمن هذا ( أى العافقي ) ثانياً وكان جلوسه لها في صفر سنة ١١٢ ، فأقام واليا سنتين وسعة أشهر وقيل ونمائية أشهر ، واستشهد في أرمس المدو في رمضان سنة ١١٤ (٢) . وقال المقرئ فيما نقل - « ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله العافقي من قل عبيد الله بن الحبباب صاحب افرقية فدخلها ( أى الاندلس ) سنة ثلاث عشرة وغزا افرنجيه وكانت له فيهم وقائع وأصيب عسكره في رمضان سنة أربع عشرة في موضع يعرف ببلاط الشهداء . وه عرفت الغزوة (٣) « ونقل في موضع آخر « وذكر أنه قتل ( والاشارة لها خطأ الى السمع بن مالك ) في الواقعة المشهورة عبد أهل الاندلس بوقعة اللات ، وكانت حدود افرنجيه قد تكاثرت عليه فاحاطت بالمسلمين فلم ينبج من المسلمين أحد . قال ابن حبان ، فيقال ان الآذان يسمع بذلك الموضع الى الآن « ونقل عن ابن حبان « قال دخل الاندلس ( أى عبد الرحمن ) حين وليها الولاية الثانية من قبل ابن الحبباب في صفر سنة ثلاث عشرة ومائة وغزا افرنجيه ، فكانت له فيهم وقائع جمة الى أن استشهد وأصيب عسكره في شهر رمضان سنة ١١٤ في موضع يعرف ببلاط الشهداء ، قال ابن شكوان : « وتعرف غزوته هذه بغزوة اللات » (٤)

هذه الفقرات والاشارات الموجزة التي تكاد تتفق جميعا في اللفظ والمعنى هي ما ارتضت الرواية الإسلامية أن تقدمه اليها في هذا المقام ، وان كان في تحفظها ذاته ما ينم كما قدمنا عن تقديرها لرهبة الحادث وخطورته ، وبعد آثاره . وإذا كان صحت الرواية الإسلامية تمليه فداحة الخطب الذي أصاب الاسلام في سهل تور فإن الرواية الصرائية تفيض بالمعكس في تفاصيل الموقعة افاضة واضحة ، وتشيد بطفر النصرانية ونجاتها من الخطر الاسلامي ، وترفع بطولة كارل مارتل الى السما كين . وتذهب الرواية النصرانية ، ومعظم كتابها من الأحبار المعاصرين في تصوير نكسة المسلمين الى حد الاغراق فتزعم ان القتلى من المسلمين في الموقعة بلغوا ثلاثمائة وحمسة وتسعين الفا في حين أنه لم يقتل من الفرنج سوى الف وخمسمائة . ومنشأ هذه الرواية رسالة أرسلها الدوق أودو الى البابا جريجوري الثاني يصف فيها حوادث الوقعة وينسب النصر لنفسه . فقلتها التواريخ النصرانية المعاصرة واللاحقة كأنها حقيقة يستطيع العقل أن يسيغها . يد

(١) البيان القرب - ص ٢٧ (٢) البيان القرب - ص ٢٨

(٣) فتح الطيب - ص ١٠٩

(٤) فتح القيب - ص ٥٦

ويعلق النقد الحديث على هذا اللقاء الحاسم بين الاسلام والصراية أهمية كبرى، وينوه بخطورة آثاره وبعد مداها في تغيير مصائر الصراية وأمم الغرب، ومن ثم في تغيير تاريخ العالم كله. واليك طائفة مما يقوله أكابر مؤرخي الغرب ومفكره في هذا المقام :-  
قال ادوار جيون : « ان حوادث هذه الموقعة اعادت آلاما البريطانيين وجيراننا الغاليين (الفرنسيين) من نير القرآن المدني والديبي، وحطت حلال رومة، وأحرقت استعاد قسطنطينية، وشدت بأذر الصراية، وأوقعت بأعدادها بذور النفرق والمطب » (١)  
ويعتبر المؤرخ أرنولد الموقعة « إحدى هاته المواقف الرهيبة لحياة الانسانية وضمان سعادتها مدى قرون » (٢)

Roman Empir Ch LII

(١)

History of the later Roman Common wealth (٢)



أنها ليست سوى محض خرافة. فان الجيش الاسلامي كله لم يبلغ حين دخوله الى فرنسا على اقصى تقدير اكثر من مائة الف (١) والجيش الاسلامي لم يهزم في تور ولم يسحق بالمعنى الذي نعهم به الهزيمة الساحقة، ولكنه ارتد من تلقاء نفسه بعد أن لبث طوال المعركة الفاصلة يقابل حتى المساء محتفظا بمراكزه امام العدو ولم يرتد أثناء القتال ولم يهزم. ومن المستحيل ان يصل القتل التدريج في جيش يحافظ على ثباته ومواقفه الى هذه النسبة الخيالية. ومن المعقول ان تكون خسائر المسلمين فادحة في مثل هذه المعارك الهائلة، وهذا ما تسلّم به الرواية الاسلامية ولكن مثل هذه الخسائر لا يمكن ان تعدو بضع عشرات لالوف في جيش لم يزد على مائة الف. واسطع دليل على ذلك هو حذر الفرنج واحجامهم عن مطاردة العرب عقب الموقعة وتوجهم ان يكون انسحاب العرب خديعة حربية، فلو ان الجيش الاسلامي انتهى الى انقراض عميقة لبادر الفرنج بمطاردته والاجهاز عليه، ولكنه كان ما يزال من القوة

والكثرة الى حد يخيف العدو ويرده (٢)  
على ان خسارة المسلمين كانت بالانحصار فادحة في نوعها مثل في مقتل عبدالرحمن ونفر كبير من زعماء الجيش وقادته : بل كان مقتل عبدالرحمن افدح ما في هذه الخسارة، فقد كان خير ولاه الاندلس وكان أعظم قائد عرفه الاسلام في الغرب، وكان الرجل الوحيد الذي استطاع بهمة وقوة خلاله أن يجمع كلمة الاسلام في أسبانيا فكان مقتله في هذا المأزق المصيب ضربة شديدة لمثل الاسلام ومشاريع الخلافة في افتتاح الغرب (٣)

(١) وهذا التقدير تأخذ به بعض المؤرخين الغربيين أيضا

مثال ذلك المؤرخ الفرنسي ميزري Mezerei

(٢) قال ادوار جيون تطبيقا على مزاعم الرواية القرنيية: ولكن تلك القصة الخرافية يمكن ردّها بحذر القائد الفرنسي (كارل مارتل) اذ توجس من شرارة المطاردة ومعايبتها ورد حلفاءه الألمان الى لوطانهم. ان يكون الفاتح يتم عن فقد النساء والقوة وانت اشنع تخريق العدو لا يقع حين انتقام الصفوف وانما حين الانسحاب وتولية الادبار.

(٣) راجع موسوعة Bagl الأثرية تحت كلمة Alderame قريبا أيضا أنكار الرواية القرنيية عن خسائر الغرب. وفي الترجمة الانجليزية للموسوعة تعليقات وملاحظات مفيدة لطائفة من المؤرخين الفرنسيين تجمع كلها على التأكيد عمالة الرواية القرنيية

# في الأدب العربي

## مِنْ طَرَائِفِ الشَّعْرِ

### آثار شوقية

— ١ —

### كوميديتان لم تنشرا

بقي من المجموعة المسرحية لشاعر الخلود شوقي بك روايتان  
كوميديتان تهيئان الآن للطبع وهما: «الست هدى» و«البخيلة» .  
ومن قرأ الشعر الفكاهي للأمير يتصور الروح الخفيفة المرحية  
التي تشيع في هاتين الروايتين . وفيما يلي منظر من رواية البخيلة  
يلهب النفوس شوقا اليها :

«الست نظيفة وخادما حسنى—حسنى تدخل ويدها شيء»  
الست نظيفة : تعالي يا ابنتي جيئي بماذا جئتني حسنى؟  
حسنى : لقد جئتُ بفَنَجانٍ حذيه جرتي البُنا  
السيدة : وهذا شُبكي . هات  
حسنى : أجل بالعود قد جيتُ  
وفي الكيس مع الدخان زنداني وكبريتُ  
السيدة : سلمت حسنى يداك  
حسنى : أنا مولاتي فسدالك  
والآن هل آخذُ خَرَجَ الهار؟  
السيدة : امضي خذيه إنه في الكرار  
حسنى : هيا ته سيدتي؟  
السيدة : أجل  
حسنى : وما أخرجت لي؟

السيدة : رأسٌ من الثوم وخمسٌ من صغار البصل  
حسنى : والسمن مولاتي ترى  
السيدة : كأمسٍ لم أقل  
أوفية؟  
حسنى : والأرر؟  
السيدة : لا ، لا يدخلن مرلي

حسنى : لقد غلا سعراً ولا يُعجبني السعرُ الغلي  
السيدة : ليتك بالزيتِ افكرتِ والدقيق والعسل  
حسنى : ولم يا حسنى؟ أرا لك اليوم عادلك الخبَلُ  
السيدة : نيت أن هنا وتحت هذي الكتبة  
حسنى : العشرات من قديم الكعك والغريب  
السيدة : لم أنس ياسيدي

السيدة : أتِ إذن مخربه  
حسنى : قد اشتيت لقمة القاضي  
السيدة : اشتيتك عقربه !  
السيدة : وما الذي اشتريت يا حسنى لنا من الخضَرَ؟  
حسنى : الباميا كأنها الزُرُ مرْدُ الخامِ الحَجَرُ  
السيدة : الباميا منذ متى هذا الخضارُ قد ظهر  
حسنى : جديدةٌ قلتُ عسى سيدتي بها تُسرَّ  
السيدة : نادى المنادون عليها منذ أسبوعٍ غبرُ  
حسنى : ترفل من شوكتها وفي شبابها النظرُ  
السيدة : أجل لقد أكلتها في منزل الشيخِ عُمَرَ  
حسنى : كالذهب الأبريز والثوم عليها كالدرَرِ  
السيدة : واليوم تأكلينها

السيدة : أمرٌ من طعم الصبرِ  
حسنى : اشتريت غالية مثل البواكير الأخرى

وأبلغ في عنان الجوفرد      كمزلة السموم لا يرام  
بيت النجم يقبس من ضياه      ويلسها فيرتحل الجهام  
له في الأعصر الأولى سمى      اذا ذكر اسمه ايتسم الذمام  
كلا الحبلين حر عقري      لدى محرابه ملك همام  
أزيلوا عن معاقلم فامسى      لهم في معقل الصخر اعتصام  
.....

## الذكرى

مرت بي الذكرى فما      ود قلبي المضنى أساه  
ولمحت عهداً خالياً      ووجدت في الذكرى شذاه  
أيام روض اللؤلؤ غرض      والهوى دان جناه  
والعيش مختصر الحواشي      شئ والمضى تئدى ذراه  
والقلب يمرح هائماً      نشوان ما يدري هداه  
كم لذت ثقيل الخدود      د وشاقه ثم الشفاه  
واليوم صوَّحه القنود      ط فشاخ منضورا صباه  
في هدأة الذكرى وأح      لام الشباب بكى هواه  
وطوى بساط اللهوى      شرح الصبي والافتاه !!!  
أوتاه من عبث الزمان      ن وآه من كيد الحياه  
دمشق      حلبي اللحام

## قلب !

لشاعر الشباب السوري أنور العطار

يا قلب يا هيكل قدس الهوى      ويا مطاف الذكريات العذاب  
أصم على الحب شراع المنى      فهو طعام الروح وهو الشراب  
تالله لولا حرمة الهوى      لكنت أصليتك مرّ العذاب  
أمضى حملك طفلاً وها      لما نزل طفلاً كثير الشغاب  
تملك أطراف السماء التي      لم يمتلكها الدهر، طيف التباب  
تفتن في الضحك وما تأتلي      تلعب حتى يتعايا اللعاب  
صبرت عنك الروح لكنها      أضجرها منك مراد عجاب  
أضعت من أجلك زهو الصبا      فضاع ريماني، وضاع الشباب

حسنى : هدية تلك  
السيدة : وممن ؟  
جسنى : من قريب لي حصر  
السيدة : من أين جاء ومتى ؟  
حسنى : من الصعيد قد نكر  
السيدة : و... ترى حريته ؟ نقلة مستعجله  
حسنى : سيدى !

السيدة : امضى اطيني دقة مكنة  
كأنها خلية من عسل محمّلة  
والثوم فيها الثلوث وهى مكمله  
والعظم

حسنى : واللحم  
السيدة : احذرى يُعَبِّئُنِي أَنْ آكله  
حسنى : اللحم يأسدنى في الباميا ما أسهله  
السيدة : حسنى انظرى  
حسنى : سيدتى  
السيدة : على البلاط وسخ  
حسنى : الآن أغسل البلاط ثم امضى أطبخ  
« وتخرج حسنى الخادم »

- ٢٨ -

## جبل الدروز

مشروع قصيدة لم تتم كان ينظمها المرحوم شوقي بك وهو  
بعالية من لبنان في أسود الجبل وقد أخرجوا من ديارهم ففروا  
بحريتهم وكرامتهم الى الصحراء

ألا بديارهم جنّ الكرام      وشقّهم بلبلاها الغرام  
بلاداً أسفر الميلاد عنها      وصرحت الرضاعة والفظام  
وخالط ترها وارفض فيه      رفات من حبيب أو عظام  
بناء من أبوتنا الأولى      يتمم بالبنين ويستدام  
توالى المحسنون فشيده      وايدى المحسنين هى الدعام

لم يبق لي من مأمل يرتجى في راحة الأحلام غير السراب  
يرف، والروح شديد الصدى يعلو في العمر ماء كذاب

\*\*\*

قيثارتى تمنى في نوحها ونوحها شطر فؤادى المذاب  
أشعارها في ذى الدنى نفحة تائهة في عالم من صباب  
تضيع في غيب هذا الورى ضيعة طفل في فسيح الرحاب

\*\*\*

يا غيب هذا الطفل جم الروى مفضض الأفياء، نضر الشعاب  
مختطف، شاردة روحه وشارد الروح طويل الغياب  
غلغل في دنيا الهوى فارغى حيران قد ضل سبيل المسآب  
خذه إلى ساحك تغنم به أغرودة حالية بالرغاب

## أيها النيل

أيها النيل أنت روح البلاد ورسول المنى وكل المراد  
لست ماء في أرضنا بل دماء تمشي بين الحشا والفؤاد  
فاجر يأنيل بالحياة إلينا وابعث الخير في بطون الوادى  
وأملأ القطر من زابلك تبرأ وأبق يأنيل رغم أنف العوادي

\*\*\*

أيها النيل لن تذلل مدى الدهم ر وفينا ذخيرة للجهاد  
مصر تفديك بالدماء وبالف فسي لولاك لم تكن منشأ النو  
وهي لولاك لم تكن ذات مجد ثابت الأس مستقر العباد  
وهي لولاك لم تخلد بذكر في جميع العصور والآباد  
ب حديثاً وكعبة القصاد

\*\*\*

أيها النيل بلغ الغرب أنا قد صحتونا من الكرى والرقاد  
وسعينا إلى النهوض لنحني لك عهد الأبوة الأجداد  
محمد فريد عين شوكة

## الوداع الأخير

أغداً ياها حرى موعدنا؟ ردت الموعد أيا مى عليك!  
ها أنا الساعة في منعزلى أسلم الروح وأزجىها إليك  
كم تمنيّت إذا أسلمتها لو أنت خاتمتى بين يديك  
يا ضنيّاً باللقا . . . . حتى اللقاء

ساعة الموت من الحرمان؟ وبك!

أيها القاتل . . . . إلى مشفق

لك - إن تلق الردى - من ملكيك!

بي أوجاع قد استعصت على

حكمة الآسى.. وما استعصت عليك

في سرير الموت جسم دارس ذو فؤاد ذائب من ناظر بك  
أيها القلب . . . سألقى خالقي ما جواى إن يسأل عن قاتلك؟

\*\*\*

لست بالخائف في أخراى من لهب ألقبته برذاً لديك  
كست في الدنيا مجوسياً صباً لليبب موقد في وجتلك  
لكأنى كست مثوجاً . . . وكم أدفأتى قبلة من شفتك  
يا شقيق الزهر والطير أما سألت نفسك عن أخويك؟  
أنا في روضك أدويه بما

فاض من دمى مدى العمر عليك

في سرير الموت أغنى شاعر عبقرى . . . وحيه من مقلتك  
يا ضنيّاً باللقا . . . حتى اللقاء

ساعة الموت من الحرمان؟ وبك!

صالح جودت

في حرم

## الجامعة المصرية

تقع مكتبة الطالب لمنشأ ومديرها الأستاذ خطاب عطية  
B. A من الجامعة المصرية، لمبيع الكتب الافرنجية والعربية،  
علمية وأدبية وقانونية، وبها قسم للجللات والأدوات الكناية

# في الأدب الشرقي

من أحدث الشعر التركي

## قصيدة لمحمد عاكف بك

للدكتور عبد الوهاب عزام

كنت عزمت على أن أنتقل من الشعر التركي الحديث الى موضوع آخر من الشعر الشرقي ، ولكنني حينما عدت الى حلوان في آخر الشهر الماضي وجدت الصديق الفاضل محمد عاكف بك قد فرغ من نظم قصيدة طويلة من روائع شعره يتجلى فيها بعض ما يحسه عظماء الشرق ، من الآلام والأحزان في أيامنا الحاضرة ، فاستحسنيت أن أجعلها ختاماً للكلام عن الشعر التركي وكان من توفيق الله أن ظفرتنا بمثل هذه الخاتمة .

## الفنان

قصة — سمعتها منذ ثلاث سنين فلعل لها سامعاً واعيماً .  
.... فصلّ الفطار من بؤستون بعد الزوال بخمس دقائق . وتفرق المودعون ، وآوى الى المقاصير المسافرون .  
فها أنا مستبدٌ بهذه المقصورة الثمانية (١) وقد أمكنت الراحة فما بمنعني أن أستلقي فأريح فكري وجسدي . لتدرّ السماء والأفق والأرض وحداً فلست أبالي ما استقرت في هذه الزاوية لله أي أشجار من الزمرد ! .. وأي لجج من الروح ! ..  
أزهر هذه أم قصور ؟ .. ما هذه القرى في حلق المدن وأبتها ؟ .. ما أجمل الطريق وما أبهر مناظرها ! .. وما أكثر هذه المصانع ! ..

أخذتني سنة فأنمحت هذه المخاطر كلها . وبينما أطفو وأرسب في آفاق النرم إذا أنا مشارك في مقصورتى : وإذا كوكب في مبة الصبا قد طلع أمامي . كلما طمح البصر اليها

(١) بين أنها تسع ثمانية أشخاص

أزاعه لالأوهما فحر ساحدا على قدميها . والى جانبها — ولا ريب أنه حينها — رجل بجيب . بجيب الى الرأى ، طويل القامة . رزين . مهيب . تشهد كل أسارير وجهه أنه فان .

أشفقت أن أروع هذين القمرين ، فملقت أنفاسي ولبثت قابلاً في راويتي ثم شرعت أرقها اذ لم أر حاجة الى هذا الاشفاق : أما الفتاة فكانت عياها الذاهلتان مستغرقين في حينها حتى لتحسب ان لو أقضت أجرام السماء لم تفق ولم تشعر . وأما العاشق — وقد غشى الحزن أسارير وجهه الوقور — فقد غابت نظراته العميقة في أجواز الفضاء البعيدة . كيف يحسّ ظل وجودك وهو يرمى الغيوب بعينه وبجانبه ليلاه ، وأمامه صورة المستقبل الذي طمحت اليه عيناه ؟ فانس نفسك ثم انظر ماذا تقول الفتاة :

أيها الأمير ! رأيت ثلاث القطع الأخيرة ؟ إنها لساحرة جند ساحرة . ما أصاخ المسرح في حياته الى مثل هذه البدائع ، رأيت شمس الصيف حين تطنع بأشعتها في السحب فتحرق السموات فيران البروق الخاطفة ؟ كذلك كانت أصابعك التي لم تضرب ، بل أحرقت العود النائح تحت خطوات الضياء ! لو علمت كيف أنت تلك الصدور التي كانت أمامك ارباً ! ماذا كانت هذه النوحات الداخنة لحناً بعد لحن كما تدمى وتحرق مئات من قلوب البلايل وأنت تصب شأيب اللهب على الاوتار كلها جملة واحدة ! إن هذا النفس المنبعث الينا من قلب الصحراء المحترق — هذا الخطاب الذي يحشر الاجيال كأنه نفخة الصور هو أوّل ما سمعه غرنا المدني . علم الله لقد كنت ، وصواعق المضارب تتساقط ، أتمثل سراب الماضي ، ماضى مصر والعراق ، وإيران والحجاز ، واليمن وغزوة وبخارى ، والسند والهند — كنت أتمثل هذا السراب صاعداً من كل خربة دخاناً بعد دخان !

— ولكن كيف يحتمل عجزى هذه الكلمات ؟ لئى لا نخجل أن أشكر .

— ماذا تقول ؟ ان للتواضع حداً فأعرف قدرك .

— أنا لا أعرف إلا قدرى :

كلاً كلاً ! حَتَّام تخفى نبوغك ؟ ألم ترالى الذين استمعوا لعزفك اليوم ؟ وهم شياطين الصناعة فى هذا العصر بلا ريب - ألم ترهم جميعاً قد أحوارهم وسهم اكباراً واعجاباً . ولا سيما مشاركة غودسكى (١) فى عصفات النصفيق الثائرة بين الحين والحين ، وتهنئته اياك وقوله : « أيها الأمير ! لا أدري أين نظير هذا الاعجاز ، ما أبهر عزفك ! انى بك جدم مفتون ، وأنتك اليوم فوق كل ثناء أنها كلمات أخذت أنفاس الحاضرين — لأنه يحب الفقير (٢) »

— كلا . ان هذه الديار ، مالم تغير شعارها ، لا تحب الفقير أبداً ، وإنما تحب الدولار ، ولست أعرف ديارك . ولعلها على غير هذا .

— ان يكن بيننا فرق فمقدار رأس فرس فى حلبة الرهان .

— نحن إذن شركاء فى الفاقة . وأها لبلية .

— ولكن ما كان ينبغى أن يغض من قدر غودسكى ،

فان كل قريب يعرف شرف نفسه ؛ دع عبقرية التى سيطرت على كل بعيد . فان لم يكن فى صدره قلب حساس فانشري على الخليفة كلها كفنأ من المعيدات .

— حسن ! والآخرون ؟ أهم كذلك أصدقاؤك ؟

— لا !

— هل نسيت ما قالوا : « أيها الأمير ! ما سمعنا قط

فيولنسل (٣) كهذه ، قد تسخر العبقريات الكبيرة ، هذه الآلة الثائرة المسنعية التى تزلزل العبقريات الصغيرة ، ولكن المعجزة فى عودك هذا . نعم ان فيولنسل عندنا آلة آية مرهفة ولكنها كملت على مر الزمان . وما هكذا عودك ، انه آلة ساذجة تأنى كل كمال . ان هذه الأصوات الزاخرة كالشلال لا تفيض من مثل هذا الصدر . كنا نظن هذا فاذا بك قد أخرست الفضاء وظهر بين الحين والحين عودك اللانهاى . . . أهذه مجاملة ؟ — أليست مجاملة ؟

— رحماك ! انى لأخشى أن يكون تواضعك أشبه بالرياء !

لقد آن أن نعرف بنبوغك .

(١) غودسكى أكبر عازف على البيان فى العالم (٢) يريد نفسه (٣) آلة موسيقية اكبر من الكنتجة اربع مرات

— ان مقارنة الكمال بعيدة عن آمالى فدعى النبوغ الآن !

— ماهذه النعمة الباردة المعادة ؟ وهذا القرار المكرر ؟

— ذلك أن الفنان لا يعلو بذراعيه ، ولا بد للسوغ من

حتاج ، ولا جناح لى .

— أنت لا جناح لك ! احمر بصوتك فافهمت ! انتك منذ

قليل تجاوزت شواهد الصناعة ثم خلقت حتى تحطيت حدود

الامكان . أتى احتديت الى هذه السبل المختلفة للايغال فى هذا

الطيران ؟ لا ريب أنك لم تطوف فى عالم اللانهاية راجلاً .

وان لك فى هاتين الآتين الخافقتين فى ذكرى جناحين

آخرين . قلت شعري أنى العالم عبقرية كهذه تسموها أربعة

اجحة باحثاً خيالها فى سماء الالهام ؟ ان الدم الذى فى عروقك

لمن دم الأنبياء ، وان غلياناً فى هذا الدم لجسدير ان يمت فى

الشرق ازكى حماس : ان وراءك جدوداً قد تصرف بالدهر

سلطانهم ، وان امامك ذكرأ قد ضمن لك المستقبل منذ اليوم ،

فهل جاء أحد الى هذه الديار فى هذه السعادة ؟

— أمكننا السعادة ؟ كلا ! لا تخدعى نفسك بالسراب .

اجل نشأت فى طفولة سعيدة اتبجح فى دار كأنها الفردوس .

ولكن اكفهر الجو منذ تخطيت عتبة الدار : احاط اللهب

والدخان بالشرق المعزق ، وكيف ينهض من تلفقت داره النار

فانقضت فى التراب كل مفاخره حتى لم تبق خربة من هذا

الماضى المجيد ؟ وبينما تملل تحت هذه المصائب تقطعت

الديار فذهبت واحدة بعد اخرى ، فلبانظرت ورائى لم أر داراً

ولا دياراً : ذهبت بها جميعاً ايدى الاجانب فلم يبق فى هذه

الفة الا يأس امة خاسرة !

— أليس هو اليأس الذى كان يئن به عودك ؟

كلا ! لو أنت الكائنات كلها بلة العود ما ترجم النواح عن

ألم متقد فى الجوايح . يقول شاعر الهد الفيلسوف محمد إقبال :

« احترقت من نعمانى المضطربة قلوب الأصدقاء ، وإمما يحترق

قلبي من النعمة التى يعجز عنها العناء . » وكذلك أنا . فما سمع

بعد من لسان مضرانى صوت الألم الذى يدوى فى قلبي الخرب !

ذلك سموم ، فكيف تبين عنه بضع آهات ؟ نعم لم تبين عنه فما

كنت الآن عارية أمرى إذ تفنيت بأغانى سعادنى فلا تقضى

إن عجبت لظنك بى . لا تقضى واعلى أنى نضو مصائب ، أجالد

هذه الأحداث التى تسمى القضاء . وقد عى رأسى وذراعى

بالجلاد المحتدم ليل نهار، لا أزال أنعامل وأنفض ولكن الشاب قد أنهدم ! واحسرتاه ! على أى حين قد أنهدم : حين يئست من الطفر وبأى غنى أمل البجاة وذهب الهلاك بكل خطوة خطوتها الى المستنسل . والا فآية بلية لم تل منى ؟ أصورة وطنى الذى انقلب كثناء من الرماد ؟ أم تماسة أمتى الهائمة بغير وطن ؟ أم عشى اليتيم الذى نصفت به ريح الخريف ؟ أم أسرتى المرزاة التى درتها الرياح فى الأرجاء ؟ أم معادى ومقابرى التى طمسها اللى ؟ أم حرم كمنى الذى أفسر إقفار اليداء ؟ أم ديبى الذى دعى قلبه دهرأ حتى وقع ؟ أم نعيب اليوم على هذه الخرائب خرائب الاحساس ؟

وبعد فآية فاجمة لم أصل سارها ؟ لست أعلم ما طواه لى العد فهو الآن سر محجب . ولكن إن تسألنى عن مصائب اليوم فالىك إحمالها :

ارتمت فى فى اليم سفينة ماله . فأكبر ظنى ان لن أعاود الحياة . وكنت أعزى نعى حين أرى أساطين عثرتى بجاسى تنقلب بنا الخطوب معاً . فثارت العاصفة ومزقت أضلاع السفينة وتفرقت الأمواج بالألواح . فلتصارع القضاء هذه السفينة التى انقلبت خيالاً . بل لم يبق منها الخيال ! لماذا أ كافح أنا فى هذا الحر ؟ قد اعتصمت بلوحين تعسین . وما بقاؤهما فى مصارعة جبال من الموح ؟ والسما تحجبها ظلمات من السحب متراكمة . ويحجم على الفضاء اشد الليالى حلماً وهولاً ، فاكوام الظلام عن يمينى وشمالى وأمامى وخلفى . لا أعرف المكان ولا العاية ولا الجهة ولا الوجهة . اضطرب ياتساً وأدور الشمس الصروح فلا أظفر بها ، فأرائى مسكياً بدفع الى القبر حياً ! حياً تفدنى الأمواج الثائرة ! وحيناً تهبط فى هوة جهمية يرعد بها الفضاء ! وحسأ تنشق السحب عن العرق الخاطف بمنزق احشاء الطلام ، فاذا مرأى هائل لا يدر للحياة الرجال ! أقول مرة : . ان القضاء لا يصارع . فان لم يكن من الاجل بدفا تمسكى بهذين اللوحين ؟ حسى جلاداً وكفاحاً ! . وأقول أخرى : . كلا ! لا أستسلم لأصدم برأسى الصخرة ولا أصدم به الانتحار ! . ثم أمضى طافياً راسباً .

— ألم أقل الآن أيها الأمير ! ان الذى يتحكم فى نفسك دم الانبياء ؟ .

أجل ، أطفو وأرسب وإخالى لا أقدم — بهذين اللوحين اللذين سميتهما جناحين ! بهذين اللوحين وهما البقية من انقاض

شأنى المهدم ان تكن له بقية !  
— أما كذا نريد ان نشهد العروب مد حين ؟ وأسما قد دهمت حتى حرة اشفق ! وحتم على الآفاق اليتيمة حزن المساء فانقلبت صبراً حرياً . ألا تراها ؟

— مدده الآفاق اليتيمة . نسمح عليها الآن يد الشفق : فاذا انطلقاً الشفق مسحت عليها ايدى النجوم . وأما الصدر الحزين ، فان غده مشمس ولكن آفاق ليل ليس لها من هذه القبة ضوء ولا صدى . وإنما حطها هذا الطلام الصامت ، هذا التللام السرمدى ! كلما هبطت الى ساحة قلبى اخذتنى الرعدة والوجل : اذ أرى فى كل خطوة اثر غروب . نعم اثر غروب . ولكنه عميق كالعدم ! فانما موعد شمسى العارية يوم المحشر ! ولكن ماهذا الحزن وما هذه الدمعة على وجهك ؟ لا تخشى تعذيب مسافرك أيتها الرفيقة الجميلة ! يعلم الله لو أن قلباً قد من صخر ما احتمل انهمار هذه الشآبيب الغائمة فى عينيك ! لا الا ! إنه ليحرقنى أن تحسنى آلامى . فدعنى أبكى وتنحى عني ! قد قاسيت مصائب الدنيا جميعاً ، ولكن دعنى أمضى دون أن أرى هذه الدموع !

## صدر العدد الأول من

## دائرة المعارف الإسلامية

أبيق الطبع ، جيد الورق ، من القطع الكبير ، وفى عدد صفحات الأصل الا فرنجى . من أهم أبحاث هذا العدد : ألف ، أبان بن عبد الحيد ، أبازة ، الأباضية ، أبجد ، أبجاز ، ابراهيم الخليل ، ابراهيم بن أدهم ، ابراهيم باشا والى مصر ، ابراهيم بك ، أبرهة ، الابشهى ، الى غير ذلك من الأبحاث التى تقرب من احسين . — كتب التعليقات والردود فى هذا العدد حصرات الأساتذة : ابراهيم مصطفى ( الأستاذ بالجامعة المصرية ) الدكتور طه حسين ، محمد مسعود ، فضيلة الشيخ يوسف الدجوى ، محمد فريد وجدى ، أحمد زكى باشا . بطلب العدد من جميع مكاتب القطر المصرى والعالم العربى أو من مقر اللجنة بشارع قصر النيل رقم ٣٣ بمصر . وكيل اللجنة بالاسكندرية : الأستاذ محمد زكى سكرتير معهد الثقافة . ثمن العدد ٨ قروش فى داخل القطر و ١٢ قرشا فى خارج القطر المصرى ؟



## عيد الكهارب

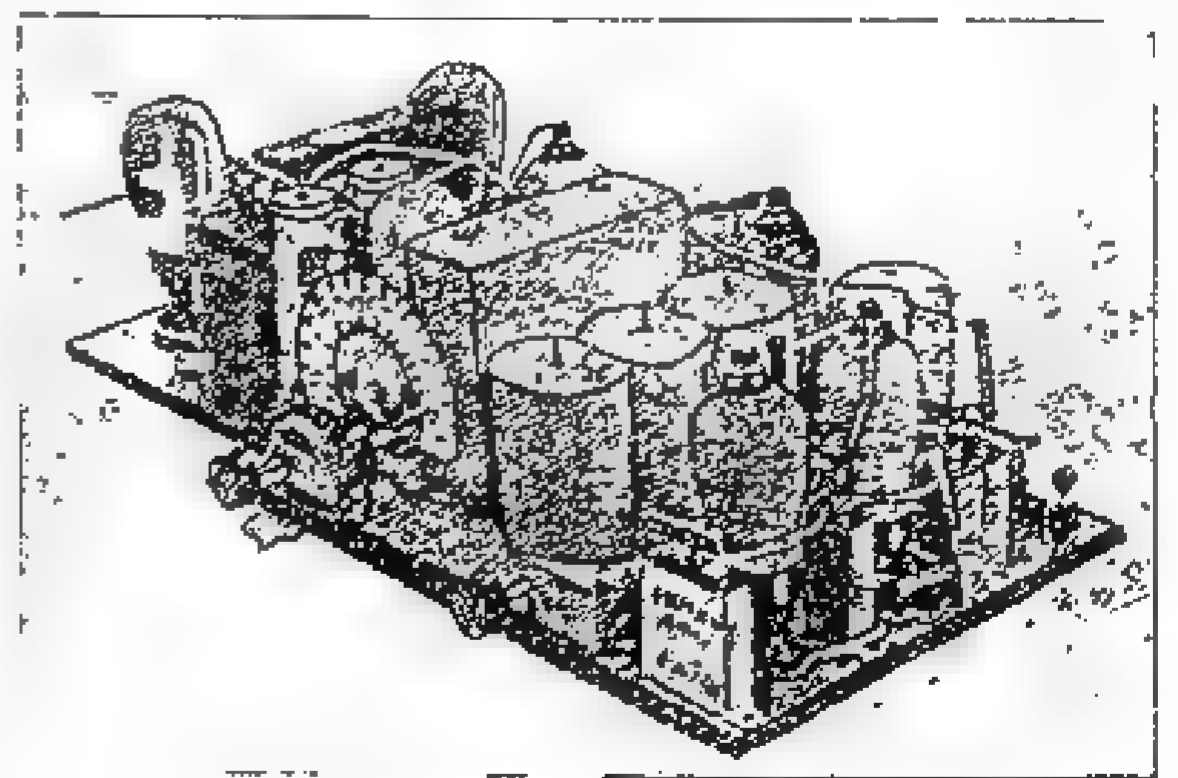
للدكتور احمد زكى

امتلات الطرقات وسدت المسالك بالمشاة والراكين وتكدست العربات الخاصة والعامة من فوق الأرض وتحتها بحمولاتها الانسانية وكلها وجهتها اوليميا ، ذلك القصر الواسع في الحى العربى من لندن حيث يقام كل عام مهرجان كبير ، يعرض فيه كل جديد في عالم اللاسلك . وما انتصف النهار حتى أخذ الهو الكبير من القصر السقيف يصيق بمن فيه ، وأخذت الخطرات تقصر في سبيلها بين المعروضات حتى كادت تنعدم الحركة ، ولما بلغ الداخلون خمسين ألفا صدر الأمر الى الأبواب أن تمنع الدخول ، وكان على الأبواب الألوف من الناس في صفوف كالجند منتظمة ، كل ينتظر دوره واقفا ، لا يزحم رجل امرأة ولا يافع شيخا ، ونمت الصفوف ذيو لا ، وتفرعت الذبول وطال الانتظار ، ونقد الصبر ، وكان اليوم مشمسا حاراً ، فأخذت تشبع في الجمهور الصامت بطبيعته أصوات الفلق ، وأخذ يتبدل النظام السائد بالهرج ، وتبدل الهرج بزئاط صارخ واحتجاج مندر ، دوت على اثره في داخل القصر الثاسع ثلاثمائة من نواعق اللاسلك ترجو من أتم طوافه بالمعروضات أن يغادر بسلام ، وخرج من المعرض ممثلون وممثلات من المشهورين في عالم الراديو والمشهورات يعرضن على أرصفة الطريق من ألعائن وأغانين ما يسلى الجمهور ويطيب خاطره ، ولكن القدر كان قد غلى وأوشك أن يفور . وبدرت بوادر العنف ، فلما تحطمت الواح الزجاج من بعض المداخل تلسف البوليس فجاء لساعته بر كبه ورجله وملك ناصية الموقف في دقائق ، وأحتبس رجل واحد . وعدت من بحارج البناء عدا تقريبا سكانوا خمسا وعشرين ألفا

دخلنا البناء حيث المعرض فوجدناه يتألف من الصالة الكبرى قد يقد طولها . وامتد عرصها . وسما ارتفاعها ، وعلى أرضها موائد متطاولة عليها أجهزة اللاسلكى الكاملة قد صفت في خطوط متوازية تستطيل تارة وتستعرض أخرى ، وبينها الناس يسبرون كالتمل في بطن وكثرة . وفي الوجه المقابل للداخل سلم عريض قد تغطى بالزائرين وهم في طريقهم الى الدهاليز العليا ، والشرفات الجانبية حيث أكثر المعروضات للقطع المفردة التى تتألف منها الأجهزة الكاملة . وقد راعى المنسقون والعارضون جميعا في تفريق الأماكن وتخصيص المناضد ، وكذلك في المعروضات وأنواعها وأحجامها وألوانها وريقتها ، أن تتألف من الجميع وحدة كاملة جميلة تسترعى عين الزائر وهو لا يزال على الاعتاب ، وكأنهم خشوا أن يكون جمال التنسيق ضعيفا فاترا فرسموا بأنايب الكهرباء الحمراء في قبالة الداخل على الجدار العريض العالى الذى يهمن على الدار رسما كبيرا عظيما رائعا يجمع الى الجمال القوة والقوة . وبلغ عدد العارضين نحو من ثلاثمائة ، وبلغت المبيعات نحو من ثلاثة ملايين من الحبيات ستجعل المصانع في شغل شاغل مدى أشهر الشتاء القادم

وامتدح العارضون عن ادارة الأجهزة والتقاط أمواج الاثير خشية أن يتصدع الجمهور بمئات الأبواق فلم يكن لغير الفنى في المعرض مأرب ، إلا أن يستمتع بريق الصامات وجدة المكثفات وسواد الحويئات ودقة النجارة في صناعة الأبواق والخزانات . أما الفنى فلم يكن هناك حد لهنه فقامتاز هذا العام بتقديم فى كل قطعة من مستقبلات الراديو أفسد على الكثيرين اغتباطهم بالأجهزة القديمة التى لديهم ، وحركهم وسيحركهم لاشك ، إما الى استبدال قديم بمجديد ، وإما الى الاقتصار على الترفيع لثال اجهزتهم حطا من الجودة . ولكن فى كثير من الأحوال يتناول التجديد أساس الجهاز من حيث النظام

الذى بُنى عليه ونوع الاجزاء التى تستخدم فيه. فى هذه الحالة قد يتكلف الترفيع أكثر من شراء الجديد. ولعل هذا هو السبب فى أن كثيرا من محازن لدن كانت تعرض قبيل ابتداء المعرض أجهزة كثيرة هى لاشك من الطرارات القديمة بأثمان بخسة لمعت النصف مما دونه. وهذه حال لا تسر مقتضى الراديو ومن المؤسف أنها ستحدد كل عام ما فى العلماء يحثون وما طالت الشركات وهى عديدة وغنية تنافس فى تحويد المحصول. إلا أن صنعا من المستهلكين لا يفتأ يجد لدته فى هذا تغيير والتبديل بحلول كل عام جديد. ذلك هريق الهواة الذين يكبون أجهزتهم بأنفسهم، ويفقهون كيف تعمل هؤلاء يرحون بكل جديد للشفعة التى يجدون فى الحل والربط وفى ترقب الحس الناشئ فى استقبال للاثير أدق. والتقاط للكلام والنغم أصمى وأروق. ومن الغريب أن كثيرا من الهواة هوأهم يقف عند هذا الحد. أو إن هو تعداه أصبح رغبة عادية لا يتحرق لها إرتم ولا يغلى معها دم. هواهم فى الآلة المعدنية الزجاجية الخشبية التى تلعب فيها أصابعهم وفى النتائج التى تأتى به من حيث الأداء. أما ما يحمله الاثير من جملة بديعة أو نعمة مشجبة فله عندهم المحل الثانى. ولكم سر الزائر الغريب للمعرض أن يرى شبانا هواة لم يعدوا بعد العشرين ينسلون كالسحالى من خلال هذا الزحام يجمعون فى أكياس من الورق بأيديهم نشرات العارضين وكتيباتهم وقد حوت كل ضريف حادث.



جهاز استقبال حديث

وتتناول التحسينات المعروضة الاستقبال وحده، أى تحسين الآلة من حيث حسن أدائها، وحمايتها من البيئة التى

تعمل فيها. مثال ذلك أن حسن الآلة زاد، أى أنها تستطيع أن تلتقط أصعف الموجات فى الاثير وأن تكبرها دون أن تفقد منها شيئا لا من النغم العالى ولا النغم الواطىء، أو دون أن يصعب هداؤ ذلك. فإن قيمة ذلك كبيرة فى إذاعة الموسيقى، ولو أنه ليس له مثل هذا الخطر فى إذاعة الكلام. كذلك رادت فى الآلة القدرة على الاختيار، فكثيرا ما أراد الانسان مناعمة بيته. محطة هبوطت عليه محطة أخرى موجتها قريبة من تلك. فاصبح الآن يستطيع أن يحجب المحطة التى يريد حجبها. كذلك كان السامع يستمع الى المحطة التى يشاء فى اغتباط وهوى. فلا يأت أن يرى الأصوات تضعف حتى تكاد تنعدم ثم تهجم على اذنه فى قوة ثم تقهر فلا تترك فى نفسه لذة من سماع، فاصبح بالآلات الجديدة فى مأمن من هذا يستمتع لنغم ذى قوة مضطردة واحدة. كذلك كانت الآلات تتأثر بما فى البيت أو الطريق من الكهرباء، كأن يكون بالمسكن مصعد أو بالشارع ترام، أما الآن فقد حاطوا الآلة — أو الأصوب بعض أجزاءها — بما يصد عنها كل هذا الأذى. حدثنى صديق أنه الآن لا يجد للمصعد هذا الأذى مع أن جهازه لا يفصله عنه غير سمك حائط. كذلك كنت تطلب استماع محطة فتدير اللولب فيمر بك على محطات أخرى منها القريب القوى الذى يصرح فى البوق ذلك الصراخ المؤلّم المعروف، أما الآن فتضبط الآلة كل هذا من نفسها. بل من الآلات ما لا تسمع له صوتا وأنت تدور باللولب تطلب المحطة التى تريد. وأما ترى مصاحبا ينير ويظلم كلما مر بمحطة، فإذا أضاء عند موجه المحطة التى تريدها خففت زرا فجاءك النغم والصوت على أشده، هذا الى كثير من التغيرات التى لا يمكن ذكرها دون الدخول فى معقدات الفن، ودون ذلك حوائل منها اللغة العربية، ولقد جازفت فى هذا المقال فقلت «المكثف» و «الأنوية» و «المناعة» و «المستقبل» وفى نفسى شك كبير فيما يفقه القارىء من ذلك.

أما من حيث أحجام الأجهزة وشكلها فلم تنق الشركات رغبة لراغب الاقتضا، فالجهاز الكبير الذى يملأ الحائط كأنه قطعة من الأثاث موجود، والجهاز الصغير الذى تربطه الى قائم عجلة الادارة من سيارتك موجود، والجهاز الذى تستقى له من كهرباء المنزل موجود، والذى تستقى له من كهرباء البطاريات موجود، ومهما شئت من أشكال أو ألوان

# القصص

## ابن فرعون يتعلم ..

للأديب حسين شوقي

أرعه ، فإذا ذكر الكاهن جهنم ، أحد نصف الشياطين المكتمين فيها ، بعدد من أدب في الحياة الدنيا ، أحسن مري آمون برعدة تسرى في حبه الصئيل . وكان الكاهن يرمنه بانتسامة صفراء كأنه معطى لحوق الأمير . كم ود مري آمون في تلك اللحظة لو دق عتق معله !

وفي أثناء ذلك ، ارداد ضجيج الاطعام في الخارج ، فظن الأمير اليهم مرة أخرى من النافذة ، فإذا بهم يطاردون جحشاً فر من صاحبه .. عندئذ استولت الخناسة على قلب الأمير ، واشتدت به الرغبة في الانضمام الى أولئك الصياني ، فصاح بعمله قائلاً : سيدى أرجو منك أن تدعني أذهب لمساعدة هؤلاء الاطعام في القرض على الجحش المهرب .. فكان جواب الكاهن أن غلق النافذة وإستمر في القراءة كأن لم يقع شيء ..

تقلب الأمير المسكين في سريره تلك الليلة ، ولم تذق عينه النوم لأنه كان جده غضبان .. ولو نظر مري آمون وجهه في المرآة في ذلك الحين لشاهد تلك الحرة الجبلة التي علت خدوده ذات الصفرة الذهبية من جراء افعاله ! .. حقاً ! لقد مل الأمير الحياة . وسئم استبداد معله ! صحيح ان بالقصر أطفالا كثيرين من أبناء الاشراف يستطيع الأمير مشاركتهم في ألعابهم ، ولكن هؤلاء لا يعاملونه معاملة الند للتدليل بها بونه ولا يحاطبون به الا في كلفة وحياء !

رب كيف يتخلص الأمير من يد الكاهن حوتيب ؟ انه طالما شكاه الى فرعون والملكة في الاوقات القصيرة التي يسمح له فيها بمقابلتها ولكن من غير جدوى .. فقد كما يردانه دائماً خائباً كأنه ارتكب جرماً .. لم لا يرفع الامر الى الآلهة الفخام وهم من أكاربه كما يزعمون ؟ ولكن هؤلاء هل يعبون به ؟ انه يشك في ذلك ، أنظر الى صورهم المخيفة ! ذاك (سوبك) اله الماء ، له صورة التمساح الذي يحطف الاطعام على صفاف النهر ، وذلك (أنوبيس) في شكل الدئب وقد أكل في العام الماضي غزال الأمير المحبوب .. وتلك (هاتور) على هيئة نقرة ، فهي لاشك بلهاء لا تستطيع نصرته .. اذن من يحف منهم ليجدته ؟ ايزيس ؟ أجل ! هي الام البرة . كم مرة سكب الأمير دموع الرحمة والحنان ازاء تمنائها وهي جالسة تضم الى صدرها ولدها المحبوب هوروس ! وفي تلك الليلة نفسها دعاها الأمير لنصرته

كان الأمير الصغير (مري آمون) ولي عهد فرعون - ولم تكن سه ترو على العاشرة - يتلقى دروسه الدينية في حجرته .. وكان معله الكاهن الكبير (موتيب) يشرح له الاسرار السماوية العميقة في اوراق البردى المنثورة أمامه .. وكانت لحية الكاهن الطويلة تروح وتغدو في الفضاء كلما تكلم ، كأنها الآلة الكهربائية التي تسمح زجاج السيارة أمام السائق في أيام المطر حتى لا يحجب عن نظره الطريق . كان الكاهن يقص على الأمير كيف تكون العالم وكيف خلق الاله روح هذا الفضاء ، ثم الارض ، ثم السماء ، ثم الليل ، ثم التربة الخصبة . ولكن مري آمون كان يستمع الى معله في سآمة وضجر ، ويود لو شارك الاطفال الذين شاهدتهم من النافذة يمرحون في الحقول طلقاء سعداء في مرحهم ولهوهم ، بينما هو يقضي العمر سجيناً بين جدران

لخزاة الجهاز تتوافق مع شكل الحجرة التي تضعه فيها ولونها فوجود كذلك ، ما رجحت في كيسك الخنثبات . أما الذي خيئت آمالاً فيه بحق فالاجهزة التي تنقل لك صور الرجل المذيع وهو يتكلم أو يمثل أو يغنى Televisor . فقد أقامت شركة ماركوني جهازاً كبيراً من تلك الاجهزة عرفاه من بعيد لأنه كان حجر عثرة في سبيل سيل الزحام المتدفق لأنه كان ينجد هناك . وصبرنا حتى بلغناه وإذا بوسطه لوحة سوداء طولها قدمان في مثلها عرضاً هي التي تركزت اليها الأنظار . اخذنا ننظر مع الناس فلم نر شيئاً ، وكنا على ساحل الصخرة الآدمية في قبالة اللوحة ، وبعد لآي ضغطنا من حيث لا ندرى الى مكان أحب وأقرب ، فعندئذ تبينا أشباح الممثلين وتبعنا حركاتهم وهي متصلة حقاً كاتصالها على شاشة السينما ، الا أننا خلتناهم من ظلمة المنظر يلعبون في ليلة مقمرة قد حجب بدرها سحب قائم . على أنها بادرة حسنة وأول الغيث قطر ثم ينهمر ؟ لندن في ٣٠ أغسطس ١٩٣٣

أحمد زكي

## « الطامع . . . »

لقد واداه الحظ ، ومشى اليه السعد ، وحدثت حياته الجديدة بما تحل به حياه رحى عظيم . لم يعد الشيخ « ياقوت » رجلاً عادياً في القرية ، بل أصبح رجلاً مرموقاً ، فأتت تربيته الجلوس في آخر الطريق يهصون على أقدامهم عند ما يبدو في أوله في حمة من اخوخ . وقنطار من السكرية ، وعمامة منقطة بدو شائها دائماً ناصعا مرهراً . وبين أنامله مسحة من الكهرمان تألفه الحبات . وشفتاه لا تفتران عن تسليح الخلاق القدير فتيران وجهها جيلاً مشرباً بالشره .

وإن « مطرته لتحل بالأضياف في الشتاء وتذكر في موقدها حرات الأثل ويشرق من سقمها على الحالسين نور جميل يرسله مصباح في « قانوس » من الزجاج الملون . وفيها يشيع صوته الخلو الحنون يردد أي القرآن أو فقرات الحديث ، وأصوات الأضياف ترتفع بتلك الخلقة الأبدية : صدق الله العظيم . . . صلى الله عليه وسلم ! فإذا ما حل الصيف إنتقل المجلس إلى « المصطبة » المستندة إلى واجهة الدار حيث يحلو السمر تحت ضوء القمر ، وحيث جرت العادة أن تعقد حفلات الذكر والختامات ، وحيث كان أصحاب الزمان والمزمار . ومشدو أبي زيد ، والقصاصون يجلسون فيطربون حلقة المستمعين من شيب وشبان ، وسيدات جالسات ، خفف الأبواب ووراء البوارج .

لم تكن للشيخ ياقوت هذه المكانة في أول الأمر . كان في المدأ مأذوناً للقرية . فإذا ما كان يوم الجمعة واجتمع الناس في المسجد وعظهم بلسان فصيح وكلمات راجرات ، وأراهم الطريق إلى الجنة ووعظهم فيها . والطريق إلى النار وحذرهم منها . . . فإذا ما انتهت الصلاة تقدم إليه الجمع يستغيث في أمور الدين والدنيا ويستأمنهم الصبح والارشاد ولقد اهتم الشيخ ياقوت صيق رزقه وقلة ما تجديه عليه وظيفته وفتق ذهه عن وكرة صائبة . وسرعان ما طهر في القرية دكان مزين الجدران ترتفع فوق بابه لوحة كتب عليها « راجي عفو المنان ، الشيخ ياقوت عثمان » . . .

ونمتت تجارتها ، واقتل الناس عليه . فهم يجدون عنده مالا يجدون في حانوت القرية الآخر . وسرعان ما أخذ الناس يتحدثون عن جودة بضائعه وطراقتها . ويطرون ما عنده من تمباك ودخان .

فما حبيب دعاؤه ! ربما تكون ابليس بعيدة النظر في استجابتها دعاء الأمير : اليس مري آمون ولي عهد المملكة ؟ لو آل إليه الملك بعد موت أبيه أدن سوف يذكرها في ضلها على سائر الآلهة ويسبى لها شاهق القصور ويقم لها أعظم التماثيل . ويصدق عليها الهدايا والقرابين . واليك كيف استجابت دعاء الأمير :

لاحظ الأمير . . . من عادة الكاهن ملارمة حجرته في كل احتمال ديبى بفام بالقصر . فكثيراً ما تحدث عنه الأمير بطرته في مكان الاحتمال فلم يجده فيه . بينما يخصص هذه الاحتمالات الملك والمملكة والكهنة الآخرون ، وجميع رجال القصر . . . فكان مري آمون يتعجب من أمر معله ولا يفهم سب احتجاب الرجل وتحلفه عن حضور مثل هذه الاحتفالات العظيمة . وفي يوم عيد دفع الأمير حب الاستطلاع إلى أن يختبئ في حجرة الكاهن حتى يدرك السر . ففعل ذلك قبل وصول الكاهن إلى حجرته . فقبل ، وما كاد حوتيب يدخل ويفلق خلفه الباب حتى صفط على زر في الحائط فافتح فيه ثقب دخله الكاهن على الفور . . . وقد أراد الأمير أن يتبع حوتيب في الثقب ولكنه أحس الخوف بتملكه . فعاد هرولاً إلى حجرته الخاصة . . . وفي المرة الثانية تغلبت الرغبة على الخوف فاستطاع الأمير أن يطلع الكاهن داخل الثقب فإذا به في دهليز مظلم انتهى منه إلى مكان ضيق يقع خلف الحائط المستند إليه تماثيل آمون الكبير القائم في قاعة الاحتفالات . وإذا بالكاهن يقف خائف التمثال المذكور ويتناول من الأرض بوقاً ثم يتكلم منه بصوت متغير مقلداً صوت التمثال ، يردد الألفاظ التي طامسا سمعها الأمير في تلك الاحتفالات بنصها . وكان بطن هو وسائر الحاضرين بطبيعة الحال ، لها صادرة عن الآلهة . . . حقاً ! إن دهشة الأمير كانت عظيمة بمقدار خوفه ، لذلك هرولاً مسرعاً إلى الخارج . . . ولكن قلبه كان يفيض سروراً لاكتشافه العظيم الذي سوف يشتره منه الكاهن بثمان عال . . . وفي اليوم التالي انتهر الأمير فرصة غياب الكاهن عن القصر قصد حجرته ، وهناك ضغط الزر ثم دخل في الثقب وعاد منه بالوق . . . بعد ذلك ، عندما أرفت ساعة المدرس وأقبل المعلم يتمادي في رزاته المعتادة ، دعا الأمير منه قائلاً :

سيدى أظن أنك فقدت هذا البوق في الثقب أعدتذ احمر وجه الكاهن حتى عاد « كالطماطم » ثم مد يده ليأخذ الوق صائحاً في غضب : أعطنى هذا البوق !

ولكن الأمير وضع يده بالبوق خاف ظهره وقال في استسامة الظافر : سوف أفعل يا سيدى إذا أدنت لى في اللعب حيث أشاء . ومع من اختار من الرفاق . . . فتردد الكاهن ملياً ثم قال في بأس ، وهو يطأطأ ، رأسه : لك يا بى ما تريد !

وسور مكتوبة ، وأوراد ، وتعاويد تحاط في الأحجة صلى الناس شر العين وكبد المهود . . . ولم يسس الشيخ أن يتحصر أرواما مختلفة من المسهلات ، والرشام فلم يعد يشكك الممعود أو موجوع الرأس أو الأمعاء عاء الذهاب الى المدينة لانفاس هذه الاشياء . كان صاحب الخانوت الآخر مستنداً بأهل القرية لا يؤجل لهم ثمن ما يشترون على رداءة بضائعه وشجه ، فلم يقو على مافسة الشيخ ياقوت فأدركه الافلاس . والحق أن الشيخ كان دمك الاحلاق من أرباب السياسة والكياسة وكان يستخوف في البيع ويميل في الدفع ، وهو فصلا عن ذلك من حصة القرآن فالشراء منه بركة ، والتسريح به وهو من أصحاب امراكر فيه يقع لامصرة . وهو يعطى المشتري المواظب من حين الى حين شيئاً من بخور السيدة الذي أحضره من القاهرة .

وعند الدكان مقعسان طويلان تجدهما أيداً مشغولين بالجلوس من المشترين الذين يرغبون البقاء لاستماع الشيخ وهو يقرأ الجريدة ويقص عليهم الأخبار وما يحدث في بلاد الكفار .

وقد كان اليهودى ينزل القرية بين الحين والحين يحمل بضائعه على كتفه ويصبح « شيت يابنات » ، ماديل ، رواج ، حرير أمشاط . مرانات يابنات . . . . لكن هذا الصوت قد اختفى ونقص اليهودى حذاءه من تراب القرية ، فقد كرههم الشيخ ياقوت في معاملته ، واستحضر لزوجه تلك البضائع . مكات تبعها في المنزل بالسعر المعتدل المقسط ، وانتشر خبرها في القرية فاصابت من الرزق اكثر مما يصيب الشيخ من سائوته ، وأخذ الشيخ يكثر من تسبيح الله وترديد اسمه والثناء عليه ، وابتدأت الخرة تنتشر في وجهه . .

ومضى الحول فاذا به يخرج على الناس بمشروع جديد ، فقد كبر عليه ان تطل القرية بلا كتاب ، فشرع عن مساعد الحد ، واشترى الخشب وكان في صاه نجارا فلم يلبث أن سواء مقاعد يجلس عليها صية « الكتاب » الذي افتحه .

وكان « الكتاب » بجوار الدكان في الطابق الاول من الدار فأخذ يوزع نشاطه بين العاملين وبراوح يبهما في المجهود . وكانت بصائع الخانوت تنفق سريعا ، فأولاد النجوع المجاورة صاروا يعودون في المساء بعد الدرس بما يحتاج اليه ذويهم من بضائع الشيخ . فاذا ما كان الصباح وابتدأ الدرس واخذت عصا الشيخ ترقص في يده . دهبوا الى الدكان يحاولون الاكثار من ابتياع الحلوى وما اليها ابتغاء مرضاته حتى تقصر عنهم عصاه .

وأثمرت جهود الشيخ الجديدة فصارت القرية تفاخر بعدد من الصية حفظوا القرآن . وذاعت شهرة الكتاب فوجد اليه أبناء

الكهور القرية يتلذذون على الشيخ ومضت الأيام فأذا بكتاب الشيخ ياقوت من كتابيب الاعانة التي تنقضى تسعة جنيات في السنة ! .

فتح الله عليه ابواب الرزق فصار ياجر ، ويعامر ، ويكسب ، ويستاجر الأرض ويزرعها . وجعل يتفنن صاحب ماء « وأما سبعة ربك فحدث » غير أن هادينا كان يقلق الشيخ ويقص مصححه . وقد مضت خمس سنوات وروحه لم تعقب له ولد اعير « حسان » . وهو رجل يطعم في كثرة السل ويريد أن يرى ابجالة يرتعون في هذا الرزق الواسع واخير العميم .

أما أن يمي قلة الدرية فقد كان شيئاً ثقيلاً على نفسه . كان الناس يتهامون رثاء له واشفاقا . والأعداء يشتمون ويودون لو يحطف الموت حساناً فلا يبقى للرجل من زينة الحياة غير المال والمال بلا بنين كالشجر بلا ثمر .

كلما مر بالشيخ ياقوت هذا الخاطر ارتاع وابتأس . ومادا يدعو الى الارتياح أكثر من شماتة الأعداء نار الحساد التي لا تجد لها وقوداً غير كارثة تلم به وبلاء يقع فيه . . .

كان يفكر أن يتزوج بأخرى ، لكنه كان رجلاً شهياً ، تأني رجوله أن يتزوج على أم حسان ، فيؤلم نفسها ، ويجزى إخلاصها وصبرها شر الجزاء . كان يحبها حباً خالصاً ، ويمجد فيها الروجة الصالحة المطواع ، والمرأة الجميلة الصبوحة .

كانت أم السعد تشعر بهذا الخطر الذي يهددها وبأيدى السوء التي تدأب على إفساد حياتها الزوجية ووضعه البار في بيت هائها ، فكانت نصبر على وشايات أم الشيخ وأخواته اللواتي امتلكن رغبة محرقة في أن يتزوج الشيخ من بنت العمدة ، فقد وصل رجلهم الى الدرجة التي توهله الى نيل هذا الشرف . . .

كانت أم السعد تدارين ، ونصبر على ما يصيبها من طمعاني أن تظل وحدها حليلة زوجها . أما هن فقد غلن في اضطهادها والاساءة اليها بعد أن عرفن موطن الضعف فيها ، ووقفن على تلك الغيرة المسترة خلف قلبها . وأضحت لهن أمة ضارعة ذليلة تغزع إذ يلوح لها شيخ « الضرة » وتضع أصعبها في أذنيها حين تسمع كلمة الطلاق ، فقد كانت تعرف أنها سائرة الى أحد الطريقتين .

صارت تنذر الذور وتستصرخ الأولياء ، وتذهب الى قور الصالحين تستمد منها البركة . يأتي عليها الليل وينام القوم فتصعد الى السطح وتكشف رأسها وتسخر كل قوى روحها في التوسل الى الله أن يرزقها ولداً آخر . وقد تسترسل في بكائها وهي تذكر آلام النهار والتعير ، والكبد ، فلا تسمح دمعها حتى تظهر

نجمة الصبح فتعود لنام عند قدمي زوجها .

فاذا كان شهر رمضان صامته من غير سحور وبذلت الاحسان من غير حساب .

ولمخ حسان العاشرة من عمره والام لم تظهر بالامسية ... وتقد صدر الزوج فخطب ابنة العمدة لنفسه

واستأد البيت يتلى بالوضوء ويستعد لاستقبال الأفراح والليالي الملاح . فكانت « أم السعد تنزل الى غرفتها كما يسلم الى وكره حيوان مضطرب بجروح ... كانت تعيش من فكرها في مأتم . وكلما اقترب يوم العرس انقطع بين يديها خيط من حيوط الهناء ، حتى صارت تفتقد مسرات حياتها فلا ينجس بين يديها إلا خرقة مهبلية .

وماذا بقي لها بعد أن صارت المرأة المبوذة ١٤ كيف تطيق أن ترى المرأة التي تتوح بدنها بعد أن كان التاح لها ، تنخطر مزهرة محتالة يزري جامها الفتي الجديد بجملها الذي فقد الجدة والفتنة ...

لقد شادت هي كل شيء . وتبعت في كل شيء . فاذا بامرأة غريبة تسلم البضاعة وتأمروتهى ! ليتها لم تفعل شيئاً . ليتها لم تدبر ولم تقتصد ! كانت تشقى في حاضرها لتسعد بمستقبلها فاذا بالمستقبل يضيع وبالأمل يتحطم ...

وحسان العزيز ! إن امره ليدي قوادها . لقد اشترى له أبوه اثواباً جديدة بمناسبة قدوم العروس ، وأمرها أن تخطبها له ! إن ثياب الحداد أولى به فقد دالت دولته . ولن يدلل فيما بعد ! سيصبح ابن المرأة القديمة ... وسيحول قلب أبيه عنه الى أولئك الأطفال الصغار الذين طال اليهم اشتياقه . كيف تستطيع احتمال هذا ؟ انها لترسل بصرها في المستقبل فتري ابنة العمدة جالسة في رجة الدار تخرج ثديها فخورة مباهية لترضع طفلها . كأنها تعتمد غاظتها والخط من شأنها ! وستكس هي بصرها تحبلاً وسيندى جبينها خزيماً ! إن ثديها العاطل المحروم ليحن للارضاع ! بل انه ليهتز شوقاً الى طملى . وهي تخرج في وحدتها وتأمل به بحسرة حرة وعين أسيفة . وتمصره لعله يمس له بقطرة تكون نذيراً بالحل ! فلا تظهر بغير الحية ، ولا بلوح على وجهها غير ظل ابتسامة كسيرة مهزومة ...

مضى شهر على الزواج الجديد ... وكانت أم السعد قد سنتت أن تخلى غرفتها للعروس ، ووعدتها زوجها أن يرد الغرفة اليها بعد أيام ، لكنه حنك في وعده ، وتركها تقيم مع أوعية اللين والجبن في هذه الغرفة القائمة فوق السطح ... وهي الآن جالسة تخطط في

التراب وتحرق فيما تخط بعين ذاهلة . وقد مسح الحزن عن وجهها صباه واشراقه . ولم يبق من بحاياها الجميل غير معارف امرأة تحطمة ، باقة . متحددة السخط والعصب .

وكيف لا يبجد سحقها وغصبا ! ... ها هي ضوضاء الدار تصعد الى أديها فتذنها أن القوم لاهون يباها وحدها تعذب . والدخان يرتفع من أسفل فيصايقها ويؤذى رثتها ويحمل الى خاطرها صورة « الولهة » . ووجه روحها وهو يصحك في وجه العروس ويداعبها

واذا هي تعض أناملها ، حانت منها التفاتة فرأت أثواب حسان البيضاء التي غسلتها في الصباح تخفق تحت أشعة الشمس . فقامت اليها متناقلة وجمعتها . وأخذت تحيط ما بها من ثوب وثوق .

وظلت تنتظر عودته من الكتاب لكنه لم يعد . ثم عضها الجوع فقامت الى الطعام لكنها لم تصب منه غير قليل ثم عافته . وصعد اليها حسان وفي حجره الوان من الحلوى ، وحدثها أنه تناول الطعام مع العروس ... وثارت نفس الأم ، فطلمت ودفعته بعيداً ، فتبعثرت حلواه وطقق بكى . لكن حانها عاودها فذهبت اليه ، ومسحت دمه وأجلسته في حجرها ، وسأله أن يسما ما حفظ في يومه . فأنشأ الصبي يرتل ، وأسارير الأم تنبسط كأن شمعاً من العزاء يتسلل الى قلبها ، ويبدد شيئاً من ظلمته الخالكة وأخذته النوم فألقى رأسه الصغير الى كتفها ، وغلبها الحنان فتاولت كفه وأدبتها من شفتيها . لكنها عافت اليد الصغيرة عند مارأت عليها لون « الحناء » الذي أباحت جدة الصبي لنفسها أن تخضب به يدي حفيدها . فحفل صدرها بالخيظ ، وملاً الحقد قلبها وملاً الدمع عينها ...

وتكى الأم بحرقة . ويستيقظ الصبي مرتاعاً ، وبملاً الدمع عينه البريثين وهو يسأل أمه أن تكف ، فتحاول لكن أساها بغلها ، فتعذر اليه بأن هناك ناراً تسرى في أحشائها ، وتغليج في صدرها . وتحذنه وهي تحرق في وجهه بجزع وقد وقفت على شفتيها ابتسامة مشلولة : أنها لن تعيش طويلاً . لأن تلك النار لم تنق شيئاً .

من هذا اليوم سقطت أم حسان مريضة وتصارفت عليها أوجاع الجسد والروح . فأخذت تقهر من ميدان الحياة على عجل .

أما الشيخ ياقوت فيأبى أن يدعوا الطيب ويرغم أنه خير بدهاء النساء ، ويتم زوجه بأنها تمارض ، ويهددها بأن عصاه كفيلة بمدواة الغيرة التي تأكل قلبها ، وينذر لها بأنه لن يسمح لها أن تجعل بيته جحياً ، وأن كلمة « الطلاق » محبنة خلف شفتيه يلفظها أن سولت

# بلياس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكي موريس ماترلنك  
ترجمة الدكتور حسن صادق

مليزاند — إن شكلي يشع في هذا الموقف  
بلياس — أوه مليزاند! ... ما أجلك! ... ما أروع منظر  
في مكانك هذا! ... أحن ... أحن ... دعني أقرب منك أكثر  
من ذلك  
مليزاند — لا أستطيع أن أقرب منك أكثر مما فعلت ...  
هذا آخر ما أستطيع من الانحناء.  
بلياس — ليس في مقدوري أن أرفع نفسي إليك أكثر مما  
ترين ... أعطني على الأقل يدك في هذا المساء ... قبل ذهابي ...  
إني راحل غداً ..  
مليزاند — لا . لا . لا .  
بلياس — نعم . نعم . إني راحل غداً ... أعطني يدك ...  
يدك الصغيرة أضعها على شفتي  
مليزاند — لا أجيب سؤالك إذا أصررت على الرحيل  
بلياس — أعطني ... أعطني ...  
مليزاند — أعدت عن السفر؟  
بلياس — سأنتظر ... سأنتظر ...  
مليزاند — أرى وردة في جوف الظلام  
بلياس — أين هي؟ ... إني لأرى الأغصان شجرة الصفصاف  
التي تفوق في علوها البرج  
بلياس — ليست بوردة ... إني أذهب لأرى حقيقتها بعد  
هنية ، ولكن أعطني يدك ... يدك أولاً ...  
مليزاند — هاهي ذى . ألا تراها؟ ... لا أستطيع أن  
أنحني أكثر من ذلك  
بلياس — شفتاي تعجزان عن بلوغ يدك  
مليزاند — لا أستطيع أن أنحني أكثر من ذلك ... كنت  
أسقط ... أوه ! أوه ! شعري ، أمتهدل على حائط البرج  
( يسقط شعرها دفعة واحدة وهي منحة ويقفز بلياس )  
بلياس — أوه ! ما هذا؟ .. شعرك يسعى إلى كل شعرك  
بامليزاند سقط من البرج ... إني أقبض عليه بيدي ... وأطبق

لها نفسها الأمانة بالسوء إعادة الامة المفسوحة للتصل من الخدمة! ..  
وتسحق روح أم حسان تحت عبء هذه الكلمات كما تسحق  
قطعة الفخار تحت ضربات المطرقة . وكأنها تؤثر الاتصافق قربها  
فتنادر الحياة بعد أيام قلائل! ..

كانت هناك نفس واحدة حزينة لفراقها هي نفس حسان، لكن  
حزنها انجاب سريعاً لغمام الربيع ...

لم يطل عهد حسان بالخلوى والتدليل، وتقدمت به الأيام فإذا به  
يلطم ويرجر لوتسكرك له الجميع . وقوى إحساسه باليتم . ولا كتابت  
روحه الظلم أي للحنان فذبل كما يذبل لحظ النرجس من كثرة العطش .  
وفقد النصير . ولم يعد يملك إلا أن يطوف بمقبرة القرية يرمق  
منزل أمه فيها ويود لو تناديه إليها ليتيم معها

أما الشيخ ياقوت فقد اطمأن إلى الثروة التي أجمعت له فأغلق  
الدكان وأهمل الكتاب ، وركن إلى حياة مترفة ، لاهية ، موزعة  
بين أحضان الزوجة ودوار العمدة ...

ومضت الأعوام والزوجة لا تنجب ولداً ولا بنتاً، وثروة الشيخ  
تبدد في الاتفاق على القابلات ، والزلقي إلى أصحاب الكرامات .

وكبر على ابنة العمدة أن تبقى عاقراً ، وشمرت أن « أم السعد »  
وهي في القبر قد غلبتها وهي في الحياة . وخالت أن روح المراه  
الشامة تطوف بها ، وتسخر منها ...

ودهبت نشد غاية فتقى فيها غيظاً فلم تجد أمامها غير حسان ،  
فانشأت تضطهده وتسخره ، وتكل به

ويستنصر حسان الأب فيخذه أبوه ، وينصر المراه الجميلة ،  
وتضيق الدنيا في عيني الفتى ويطلب النجاة لنفسه فيهرج القرية .  
وتمضي الأعوام ولكن الابن المفقود لا يعود ... وتستيقظ

روح الشيخ ياقوت فلا يجد بين يديه أطفالاً يمرحون ويصخبون ،  
ويبلغ به الاسى فيوشك أن ينادي « حسانا » ليعينه على الحياة لكن  
الكلمة تختنق فوق شفتيه ...

وضاعت الثروة كما ضاع الشباب وأضحى رجلاً مقلاً ، فلم  
تعد هناك حلقات ذكر ولا حفلات سر ، وإنما كانت أجنحة  
الحية ترفرف صامتة حول البيت .

فقد الرجل مركزه ، فلم يعد الوجه محمراً ، ولا الشاش مزهراً ، ولا  
الجبة زاهية ... ولم يعد الناس يقفون عند ما يندوف أول الطريق ،  
بل صاروا يغمغمون بما يشبه التهم : « مسكين . سي الشيخ » ...  
وكان هذا ينال من نفس الشيخ ، ويديم فؤاده ، فلا يكاد  
يقطع الطريق حتى يتهاك على عتبة الدار .

ويطول به الجلوس وهو يتذكر الماضي ويخطط في التراب  
ويرسل بصره نحو « مقبرة القرية » ...

يوسف جوهر

« البقية على صفحة ٤٢ »



## عودة الروح

— ٢ —

ما أظن أننا نغالى إذا اعتبرنا قصة «عودة الروح» للاستاذ توفيق الحكيم مؤلف «أهل الكهف» القصة المصرية الاولى في أدبنا المصرى الصميم . بل هى الحقيقة لاندمها ولا نجد مفرا من الاعتراف بها ، فعودة الروح مصرية بأبطالها ، بموضوعها ، بما فيها من عادات وطباع وخلق مصرية صميعة ، بذلك الطابع المصرى الصميم الذى يطالعك فى كل صفحة منها بل فى كل سطر وكل كلمة تضمنتها ، وانك لتحس إذ تقرأ هذه القصة وتمضى فى القراءة وتمضى فيها أنك تعيش فى جبر تالفه ، وبين قوم سرعان ما تشعر بالرابطة القوية التى تربطك بهم ، رابطة المصرية المتينة التى تحبهم اليك وتجعلك تحبهم أحياء يتحدثون ويتحركون ، لأبطال قصة من صنع الخيال من ورائهم المؤلف يقتل لهم المواقف ، ويفتعل لهم الحديث والحركة ، وانك لتهم أحيانا أن تشترك معهم فى الحوار وتشاطرهم حياتهم ودينامى الزاخرة بثقى الانفعالات المليئة بألوان من الشقاء واليأس حينا ، والسعادة والامل حينا آخر

وهذه المصرية الصحيحة ، وهذه الحياة القوية الفياضة ، هما سمة هذه القصة وطابعها البارز ، وهما قد جدلاها فى الطليعة بين كل ما كتب من القصص المصرى منذ عرف أبنا القصة الى اليوم يروعك من هذه القصة لأول وهلة دقة تصوير شخصياتها على اختلاف كبير بينهم فى النشأة والعلم والاستعداد الشخصى ، وانك لو اجدت فى كل منهم شخصية تخالف الاخرى وتفترق عنها فى الكثير والقليل ، تجمعهم أحيانا واحدة الحادثة . ولكن ما أشد تباينهم تجاهها فى الشعور والحس والادراك الصحيح ، وما أشد هذا التباين فى الاندماج فى الحياة والانفعال بمختلف مآثى به من خير أو شر . من رجاء أو خيبة . وتكاد تحس فيهم جميعا طية القلب . وسذاجة الفطرة ، والتبسط فى الحياة ، وتقبل مآثى به صروفها من ألم أو أمل ، فى رضى واستسلام ، أو فى غضب هو بالرضى أشبه . ولكن كل وحده ، وكل له بعد ذلك خلقه البارز وطبعه المغاير وشخصيته

الذدة التى ترسمها ولا تكاد تخفى على ناظريك طوال القصة فى معالمها الكبرى واسطرها الواضحة . بل فى تفاصيلها الدقيقة وما بين هذه الاسطر ، وما بين أضعاف القصة من حوادث وصروف كلهم يحب وكلهم يعمر بالامل قلبه حتى «زنوبة» هذه العانس التى فاتها سن الزواج فما تجد حيلة الا الاستعانة بالسحر والسحرة فى خفاء وحذر ، خشية أن يعلم أهلها عليها أمر ألا يناسب الوقار والاحتشام ، وما يجب أن تصف به من الرزاة والأدب ، كلهم يحب حتى «ميروك» الخادم أو من هو كالخادم ، وما أشبه بزنوبة فى بساطة العقل أو قل فى ثقافته ، وأنه لیسرع بشراء «نظارة» لتتم له الصورة التى تخيلها له الفتاة التى أحبا الجميع ، وسام هو فى حبها ولو بقسط ضئيل وهذا «محسن» بطلنا الاول ، الطالب فى مستهل دراسته الثانوية ، الناشئ فى مستهل شبابه ، وفى أول خطى العمر الغض ، ما أجدره بالحب وأخلاق بقلبه الفتى أن يفتح مصراعيه لأول طارق وأن يصبه السهم الاول فيدميه ويجرحه جرح الابد . ذلك هو الجرح الاول الذى لا يفتأ على الايام يؤلم ويذى . «محسن» يحب ولكن على استحياء وخجل . وفى صمت وكتمان . فاذا لمح بادرة أمل راح والدنيا لاتسع لنشوته . واذا داخله اليأس أفغم نفسه وروحه وضاعت الدنيا فى عينيه ، لا يعرف مداخل الرجل الى قلب المرأة ، ولا يدرك كيف ينزو الغزاة هذا الحصن ويحسنون الطرق على أبوابه حتى تفتح لهم عن جنات ورياض من الامل باسم والسعادة الشاملة ، وما أروع هذا الاستسلام يطفى على قلبه . وهذا الالم يحز فى قرارة نفسه ، وتجده فى ضريح السيدة يمسك به ضبان الضريح النحاسية ولا تفرج شفتاه الا عن هذه الصرخة المكتومة والضراعة اليائسة وملؤها الرجاء والايمان المطلق «باسيدة زينب!» ثم يظفر الدمع من عينه ويبيكى ماشاء الله له أن يبكى ، وما شاء له الحب اليائس والنفس الحزينة ، والامل المقطوع . وما أدرك كيف كان يمكن ان يشترك المؤلف بكل ما يختلج فى صدر محسن من ألم محض وأسى فقال بأكثر من أن ينطقه بهذا ولا شئ غيره . فتتضمن الجملة القصيرة أو هذه المفاجأة الرائعة إذا أردت . كل ما تسعه الخيلة القوية الوثابة من اليأس والرجاء . والامل والفشل ، ثم الايمان الذى يعمر القلب ويتغلغل الى أعماق نواحيه وأغواره

ولو شئت أن أصرب لك الامثال على قوة تصوير المؤلف لمواقف أبطال قصته، وعلى دقته في الصور التي يعرضها عليك لشيء ضروب الانفعالات النفس الانسانية، وعلى مهارته الخاذقة في استخلاص الصميم الرائع من حقائق الحياة الخالدة، ونعمته في تحليل كل ذلك تحليلًا صادقًا كل الصدق، دقيقًا بارعًا الى ابعد حدود الدقة والبراعة، لو شئت أن أضرب لك مثلاً على هذا لما تخيرت الا هذا الموقف، وأنت إذ تسمع «محن» يقول هاتين الكلمتين في ذلك الوقت، تبرز أمام عينيك فجأة صورة ذلك المنكروب الحزين، ذلك اليأس كل اليأس، المنكروب كل الكرب، ذلك الذي تألبت عليه النوب واصطلحت عليه الارزاء، فيرفع رأسه في هدوء وتلمح على وجهه ما يروعك من آيات القنوط ونعس ما يحيش به صدره من الانفعالات ومختلف عوامل النفس الثائرة كأنها الاتون يصهر الحديد أو البركان يقذف بالحمم، ثم لا تسمع منه الا كلمة «يا رب...» وعليها مسحة الايمان الذي لاحد له ولا وصف بوصف به، وأنت لما أخذت بسحر هذه الكلمة، مأخوذ بروعتها في بساطتها وقصرها، وكأنها تعويذة فيها من الروعة والجلال ما يأخذ على الفكر مسالك الفكر، ولو استمعت الى شكوى الناس طرا من عهد آدم الى اليوم لما كان لذلك في نفسك بعض هذا التأثير أو بعض هذا السحر المبين

وتلك ناحية من نواحي هذا الكاتب الفدير توفيق الحكيم لا تخطئها في «أهل الكهف» كما أنك لا تخطئها في «عودة الروح» وأحب لك أن تقرأ الفصل الثالث عشر من القصة عند وداع محسن لسنية فهو من أحسن فصول القصة، وهذا الموقف بين الاثنين من أروع المواقف وأصدقها وأدقها تصويراً، على أني لأحب أن تفهم أني أفضل مشهداً في القصة على مشهد ولا فضلاً فيها على فصل، فهي كلها قوية رائعة، وفيها كلها تلس قوة الحكمة ودقة التصوير ومهارة الكاتب وخياله الخصب المراتي، وذلك التلوين العجيب لشخصيات افراد القصة في مواقفهم العديدة المتباينة، ودونك الفصل الرابع والثلاثين عند ما يتجه نظر سنية لقهوة الحاج شحانه وتأمل طويلاً في مصطفى وما يخلج في قلبها من الانفعالات المختلفة المضاربة، فليس أبلغ من قوة التحليل في هذا الفصل لقلب العذراء الخلى عند ما يداخله الحب ويفعل بالجو الذي يحيطه في أول خطاه في هذه التجربة القاسية، فهو راض حيناً، ساخط حيناً آخر تهجاذه عوامل الأمل واليأس، وتلمح كل هذا في الحركة المضطربة، وفي المفاجأة التي لا تترجم عنها الالفاظ، ولكن دقات القلب ونظرات العين ووجوم الوجه، وآية هذا الفصل اسطره

الاخيرة التي تقدم لك لوحة من الفن بارة كل البراعة صادقة كل الصدق، دقيقة أبلغ الدقة.

وبرغمي أن أترك حديث هذه الناحية من القصة لأنحدث اليك عن ناحية أخرى لا تقل عنها بروزاً وقوة، وفيها الفكرة الكبرى التي أرادها المؤلف من كتابة قصته وعناها بتسمية القصة «عودة الروح» ودعك من ناحية تمجيده الفلاح، أو بمعنى آخر المصري الصميم، وإنما لصفحة ناصحة خالدة من صفحات هذه القصص والملك لتحس في تضاعيفها حرارة المصري الصميم بمجد مصر وطنه ومجد المصري ابن وطنه، ودعك من تلك الصور الصادقة واللوحات الفنية الرائعة عن الريف وأهل الريف وعن حياتهم وعاداتهم والاتحاد القوى المتين بين افرادهم، وروح الجماعة التي تبرز في شخصياتهم واضحة منيرة، دعك من هذا ودونك فاسمع ما يقوله أوربي عن مصر وعن شعبها في الفصل الخامس والعشرين وقرأ هذه الفقرات وارجع الى الفصل المشار اليه اذا أردت أن تقرأها كاملة

«ان هذا الشعب الذي نحسبه جاهلاً ليعلم أشياء كثيرة، ولكنه يعلمها بقلبه لا بعقله.... جيء بفلاح من هؤلاء واخرج قلبه يجد فيه رواسب عشرة آلاف سنة من تجارب ومعرفة رسب بعضها فوق بعض وهو لا يدري.....»

«قوة أوربا الوحيدة هي في العقل تلك الآلة المحدودة التي يجب أن نملأها نحن بأرادتنا، أما قوة مصر ففي القلب الذي لا قاع له»

«ان هذا الشعب المصري الحالي مازال محتفظاً بتلك الروح... روح المعبد... ان القوة الكامنة في هذا الشعب ولا ينقصه الا شيء واحد... المعبود... نعم ينقصه ذلك الرجل منه، الذي تتمثل فيه كل عواطفه وأمانه ويكون له رمز الغاية.... عند ذاك لا تعجب لهذا الشعب المتناسك المتجانس المستعذب والمستعد للتضحية اذا أتى بمعجزة أخرى غير الاهرام»

فاذا انتقلنا الى الفصل الثالث والاربعين قرأنا في شهر مارس... مبدأ الربيع... فصل الخلق والبحث والحياة... أخضرت الأشجار بورق جديد وحملت وحملت أغصانها الازهار...

كذلك مصر أيضاً... حبلت، وحملت في بطنها مولوداً هائلاً. وهاهي مصر التي نامت قروناً تنهض على أقدامها في يوم واحد. لأنها كانت تنظر ابناً المعبود ورمز آلامها وآمالها المدفونة يبعث من جديد... وبعث هذا المعبود من صلب الفلاح»

وتبرز أمامك فجأة صورة رائعة لثورة مارس سنة ١٩١٩، وامض في القراءة

« بقية المنشور على صفحة ٣٩ »

ففى ... وألف به ذراعى وعنفى ... لن أفتح يدي الليلة ...  
مليزاند — خل سيله ... أطلق سراحه ... كدت تسبب  
لى السقوط !  
بلياس — كلا . كلا . لم أر قط شعرا مثل شعرك بامليزاند  
انظري ! انظري ! انه يأتي من عل ويغمرنى الى القلب ... لقد بلغ  
ركبتى ... انه رائع عذب ... عذب كأنه هبط على من السماء لم  
أعد أرى السماء خلاله . أترين لم يعد فى مقدور يدي القبض عليه ...  
أمدت شعرات منه حتى بلغت أغصان الصفصاف ... انه حتى فى  
يدي كالأطيار ... انه يحببى ... يحببى أحسن منك ألف مرة !  
( يتبع )

### الصحة والقوة

#### وجسم يعجب وعقل يعجز للبحاح

الإنفاذ . السنة . فصل لقائمة . العادة السرية . الاستدراج  
الصفحة الثمانى . الإسكان . ضعف المعدة . القلب . الصبر  
الأعصاب . نقص الأرباب . الجمل . ضعف الذاكرة والذاكرة  
قد انتفى فى النفس وكل الأرض الزينة والعبير الجمالية والعقلية  
يمكن عدم جربانى النزل عددا مريفا أكتبه بمرئيات خاصة .  
كل شيء مشروح سنة

#### كتاب الجسيم الكامل وكتاب العقل الكامل

١٠٠ صفحة بمائة نقطة ١٠ ملين طرايع برسته للبرية  
( قسرا مجاوب في الخارج ) غير الكتاب الذى يطلبه والكتاب باسم

محمد فائق الجوهري

صدر منه الترشيح البنية والعقلية  
١١ شارع سنجر السورى فاروق مصر  
تليفون ٥٠٣٥٩

محمود سليم

صاحب المكتبة العصرية

مترجم ببيع وتوزيع عموم المجلات  
والجرائد المصرية والسورية فى العراق

« ما غابت شمس ذلك النهار حتى أمت مصر ككتلة من نار .  
وإذا أربعة عشر مليوناً من الانفس لا تفكر الا فى شئ واحد .  
الرجل الذى يعبر عن احساسها .. والذى نهض يطالب بحقها  
فى الحرية والحياة . قد أخذ وسجن ونفى فى جزيرة وسط  
البحار »

وتبرز أمامك صورة رائعة للمولود الهائل ... للمعبود  
رمز الآلام والآمال . للمعبود الذى بعث من صلب الفلاح ...  
للمعد

« كذلك أوزوريس الذى نزل يصلح أرض مصر ويمطيه بالحياة  
والنور أخذ وسجن فى صندوق ونفى مقطعا أربابا فى أعماق  
البحار ...

هذه مصر ، وهذه ثورتها أو معجزتها الثانية بعد الاهرام . وهذا  
سعد رمز العبود والقدس ، بعض ما يبرزه لك توفيق الحكيم  
إبرازاً قوياً واضحاً فتكاد يستخفك مجد تليد وتاريخ مجد فصيح  
وتهتف بحياة مصر ، الوطن العزيز المفضى ، وتكاد من فرط ما  
يشملك من الفخار والعزة ان تدمى هذه الصفحات المقدسة ثقيل  
واجلالاً ، وهالك فاسح ما يقول المؤلف عن لسان ذلك الاوربي .  
وان أربعة عشر مليوناً ليرددون هذه الجملة وانها لتصح وتسمى  
نشيدهم المختار ومثلهم الاعلى

« بلد أنت فى فجر الانسانية بمعجزة الاهرام لن تعجز عن  
الآتيان بمعجزة أخرى ... او معجزات ١١ بلد يزعمون انها مينة  
منذ قرون ، ولا يرون قلبها العظام يارزا نحو السماء من بين رمال الجيزة !  
لقد صنعت مصر قلبها يديها ليعيش الأبد ...

أجل ... لقد عاشت مصر الأبد ، وتخطت القرون والعالم  
يظنها هامة مينة ، والنار كامنة تحت الرماد ، وماهى الانفخة  
أو شبيها حتى ظهرت النار متأججة ، تصهر الحديد وتكوى الجباه ،  
وحق قام ذلك الفلاح المستكين واعلى غضبه للعالم أجمع والتفت  
العالم وأنصت الدنيا

وهذا ابن لمصر بار ، هذا مصرى صميم ، هذا توفيق الحكيم  
جاء فسجل مجد تلك الثورة وأشاد بذكرها

وبعد ، فلندكر للؤلؤ الفاضل هذا الجهد البارز . وهذا العمل  
الحالد ولنعترف بخلصين بما بذل وما أوتى من مقدرة فائقة واستعداد  
هو مبعث التقدير والاحلال ؟

محمد على حماد